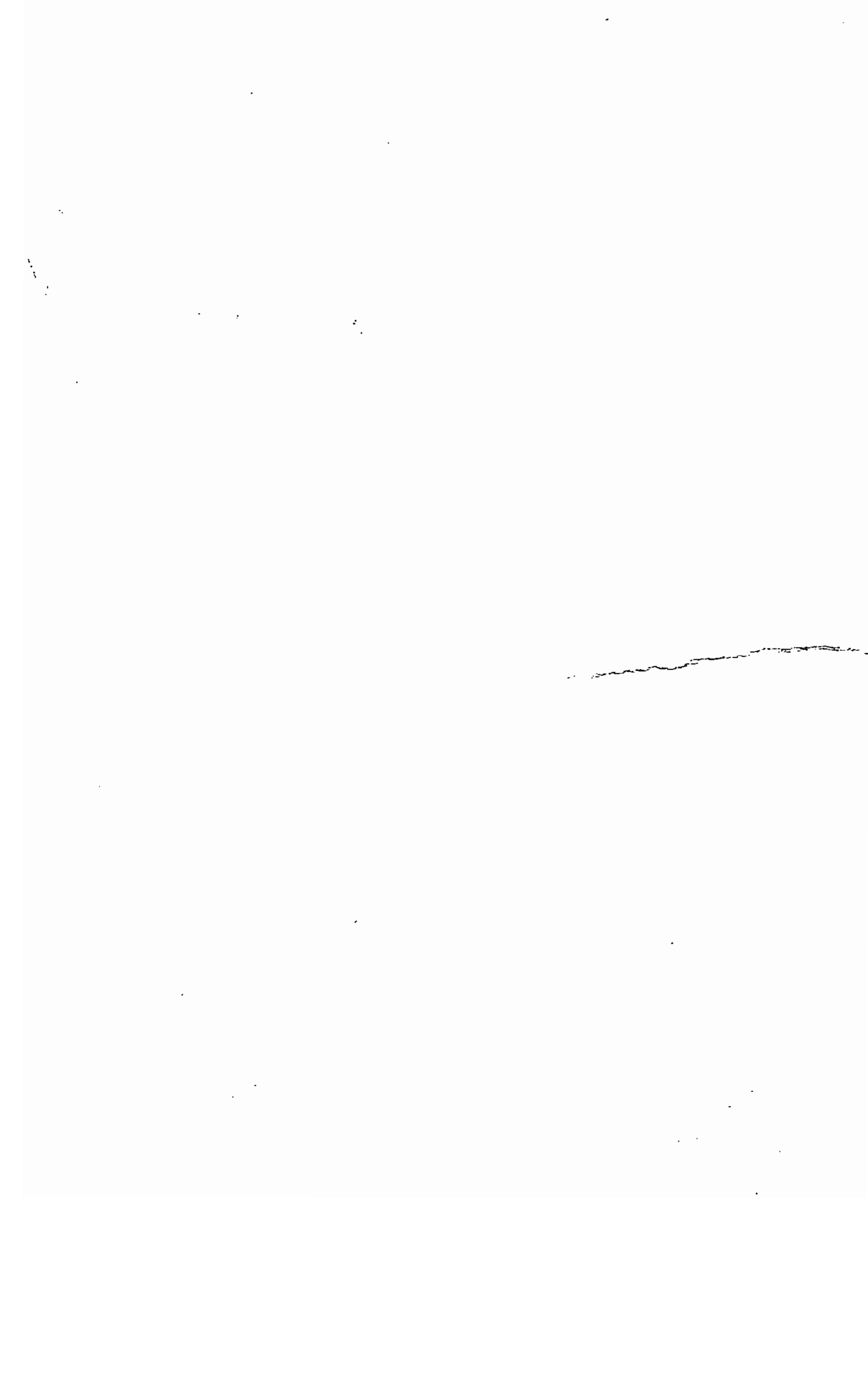
ولاة البصرة فى العهد المروانى
من الدولة الأموية
"دراسة سياسية "

إعداد د/ محسن سعد عبد الله

بكلية اللغة العربية بالمنصورة



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لك الحمد ربى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك علمتنى ما لـم أكن أعلم وكان وما يزال فضلك علىَّ عظيماً .

و بعد

فمنذ مدة بعيدة والذهن معلق تاريخياً بـهذه المدينـة التـى صهرها التاريخ وصهرت التاريخ فـى بوتقتـها ، ألا وهـى مدينـة البصرة ، فلقد جرت فيها أحداث جسام فى تاريخنا الإسلامى .
ومن ثم كان تجوالى فى التاريخ الإسلامى عامة ، ومع ذلـك كـانت الواحة التى أتفيأ ظلالها ، وأشعر بالحنو تجاهها ، ومن هنا جـاءت دراستى المنشورة قبل ذلك فى مجلة كلية اللغة العربية بـالمنصورة العدد الخامس عشر ١٤١٦ هـ ١٩٩٦م عن ولاة البصرة فى عهدى الراشدين والسفيانيين .

وكانت الفرصة سانحة آنذاك لدراسة الموقع الجغرافى لها وبيـان مكانة هذه المدينة بين المدن الإسلامية وما قدمته للدولة فى العصور المتتالية من علماء وقادة أفذاذ ، وقد ألقت الدراسة السابقة الضـوء علي الولاة المتعاقبين علي البصرة منذ تمصيرها الى أن ولى الدولـة الأموية معاوية الثانى الذى ختمت خلافته حكـم الأسـرة السـفيانية للدولة الإسلامية .

ولكن هذا البحث وحده لم يشف الغلـة ، ولـم يـرو الظمـأ فتشوفت النفس الى دراسة أخرى أكمل بها الدراسة السـابقة فجـاء

هذا الموضوع " عن ولاة البصرة فى عهد المروانيين " الذى يطالعه القارئ متمما لسابقه إذ فيه يرى صفحاته حقبتين تاريخيتين مرتا علي البصرة : أولاهما الحقبة الزبيرية ، وثانيتهما : الفترة التى حكمها فيها ولاة من قبل خلفاء الأسرة المروانية .

فكان حديثى عن الحقبة الأولى بمثابة تمهيد للثانية إذ لا يستطيع القارئ الوقوف علي الملابسات التى واكبت عودة البصرة الى المروانيين إلا إذا كان مطلعاً علي أحوال المصر فى عهد ولاته الزبيريين ليس هذا فحسب بل إن بعض الأحداث التى وقعت لولاة العهد المروانى كانت امتداداً لما كان فى العهد الزبيرى بالبصرة ، فالخوارج الأزارقة جاهدهم المهلب بن أبى صفرة باسم الزبيريين ، وكذلك فعل باسم المروانيين الأمويين وكانت البصرة فى العهدين هى القاعدة التى أمدت القادة الأمويين فى ميادين حربهم للأزارقة وغيرهم من طوائف الخوارج .

ومن ثم جاء هذا البحث متناولاً لولاة البصرة فى عهدى الزبيريين والمروانيين ، ولما كان العهد الأخير أطول زمناً وأكثر أثراً من الأول فقد جعل عنواناً للبحث .

أما عن المنهج الذى سلكته فى إعداد هذا البحث فإنه يقوم علي :-

أ- ذكر ترجمة للولاة الذين تعاقبوا علي البصرة بدءاً من عبيد الله ابن زياد ، الى يزيد بن هبيرة .

ب- لم تأت الدراسة بترجمة تفصيلية لولاة البصرة الذين تولوا أمرها فى عصر اضطراب الدولة الأموية مثل منصور بن جمهور ،

وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، ويزيد بن هبيرة وذلك لندرة ما بالمصادر من معلومات عن سيرتهم الذاتية من ناحية ومن ناحية أخرى فإنهم لم يتركوا أدنى تأثير علي أهل البصرة موضوع الدراسة باستثناء الأخير فإنها (أى الدراسة) ألقت الضوء علي الموقف فى البصرة فى وقت احتضار الدولة الأموية ذلك الذى كان فى عهد سلم ابن قتيبة نائب يزيد بن هبيرة علي البصرة فإن الرجل تصدى للعباسيين ما وسعه إلى ذلك سبيلاً.

جـ- هذه الدراسة التى يطالع القارئ صفحاتها لا تأتى علي ذكر التفصيل الدقيق للأحداث التاريخية التى يكون لولاة المصر دخل فيها، ما دامت لا تقع علي أرض البصرة أو شارك فيها البصريون بشكل بارز وظاهر ، فما يراه القارئ من حديث عن الخوارج فى الأهواز بشكل موجز لا يراد منه إلا بيان الدور الذى اضطلع به البصريون وولاتهم فى تهيئة الأمر لولاة الدولة الأموية لا غير ، فتفاصيل مثل هذه الأحداث تحتاج إلى دراسة مستقلة ليس هذا مجالها ، وكما أن من بين الولاة الذين تصدوا لمثل هذه الأحداث من حكم المصرين معاً (البصرة والكوفة) .

ء- جعلت الحاشية مجالاً لتخريج أهم البلدان والترجمة لبعض الأعلام وبيان مبهمات الألفاظ الواردة بمتن البحث وكذا الآيات القرآنية .

هـ- حرصت علي إقامة هذا البحث من مصادر أصيلة دون الرجوع الى المراجع الحديثة إلا فى أضيق نطاق ممكن حين أرى صاحبها يدلى برأى فى موقف من المواقف التى جاء ذكرها .

فى صفحات هذا البحث ، وإذا ما وجدت روايتين متعارضتين أو أكـثر تذكر حدثا من الأحداث ذكرت نصوصها ورجحت ما أراه راجحاً منها

"ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا
ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير"

د/ محسن سعد عبد الله ناصر
أستاذ التاريخ الإسلامى
المساعد
كلية اللغة العربية
جامعة الأزهر
فرع المنصورة

الخميس : ٩ من ذى القعدة ١٤١٩ هـ
٢٥ فبراير ١٩٩٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

ولاة البصرة بين عهدى السفانيين والمروانيين

لما آل أمر الخلافة الأموية بعد وفاة يزيد الى معاوية الثانى [1] لم يمكث طويلاً يدبر أمر الدولة الأموية فقد تنازل عنها وتركها للأمة تختار لها واحدا من رجالها ثم توفى .

وكان عبيد الله بن زياد ما يزال بالبصرة يدبر أمرها فبينما هو كذلك أتاه الخبر بوفاة معاوية الثانى مع مولاه حمران ، فأمر الوالى فنودى الصلاة جامعة فاجتمع الناس ورقى عبيد الله بن زياد منبر المسجد الجامع بالبصرة فنعى الى أهلها معاوية الثانى، ثم راح يعدد لهم أوجه النعم التى عاشوا فيها منذ تولى أمرهم ، فزادت أعداد المقاتلين الذين ضمهم ديوانه ، ومثل ذلك ديوان العمال .

بالاضافة إلى الأمان الذى نعم به كل بصرى يعيش علي أرض المصر فلا يعتدى علي ماله وعرضه معتد .

---

[1] ابن يزيد أبو ليلى أمة أم هاشم ، وقيل أم خالد بنت أبى هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، بويع له بالخلافة فى النصف من شهر ربيع الأول سنة ٦٤ هـ ، اختلف فى مدة خلافته فقيل أربعون يوماً ، وقيل ثلاثة أشهر وجعلها بعضهم عشرين يوماً ، نقش خاتمة "الدنيا غرور" ، توفى لخمس بقين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين هـ عن عمر بلغ ثلاثا وعشرين وقيل إحدى وعشرين وقيل سبع عشرة سنة .

القضاعى : الإنباء بأنباء الأنبياء ص ٢٠٩ .

(لقد وليتكم وما يحصى ديوان مقاتلتكم إلا سبعين ألفا ولقد أحصى اليوم مائة ألف ، وما كان يحصى ديوان عمالكم إلا تسعين ألفا ، ولقد أحصى اليوم مائة وأربعين ألفا ، وما تركتُ لكم ذا ظنةٍ أخافه عليكم إلا ، وهو فى سجنكم . وذكر لهم أن موقع بلادهم والرخاء الذى يعيشون فيه يجعلهم بمنأى عن التأثر بالخلافات التى وقعت بين الشاميين بعد موت معاوية الثانى فالناس لا يستغنون عنهم وفوض إليهم اختيار واحد منهم يولونه أمرهم فما هو إلا واحد منهم يرضى بما يرضون به (وقد اختلف الناس بالشام وأنتم اليوم أكثر الناس عدداً ، وأعرضهم فناءً[1]

وأغناهم عن الناس ، وأوسعهم بلاداً فاختاروا لأنفسكم رجلاً ترضونه لدينكم وجماعتكم ، فأنا أول راضٍ من رضيتموه فإن اجتمع أهل الشام علي رجل ترضونه لدينكم وجماعتكم دخلتم فيما دخل فيه المسلمون وإن كرهتم ذلك كنتم علي جديلتكم حتى تعطوا حاجتكم ، فما بكم إلى أحد من أهل البلدان حاجة ولا يستغنى الناس عنكم) فأبى المجتمعون إلا مبايعته فقبل ذلك منهم بعد تظاهره بالامتناع ،

---

[1] يريد انتشارهم وتشعبهم – ابن منظور : لسان العرب مادة فنى .

وحسب أن الأمور بالبصرة قد استقامت له [١] بيد أن البصريين كان لهم رأى آخر حين أرسل إليهم عبد الله بن الزبير سلمه بن ذؤيب الحنظلى ليدعوهم إلى بيعته مهتبلاً فرصة الفراغ السياسى الذى عاشته الأمة بعد وفاة معاوية الثانى فلما وصلها رسول ابن الزبير قال لأهلها (إنى أدعوكم إلى ما لم يدعُكم اليه أحد أدعوكم الى العائذ بالحرم يعنى عبد الله بن الزُّبَير) فاجتمع إليه ناس وجعلوا يصفقون علي يديه يبايعونه فبلغ الخبر ابن زياد فجمع الناس فخطبهم قائلاً : (إنه بلغنى أنكم مسحتم أكفكم بالحيطان وباب الدار وقلتم ما قلتم ، وإنّى آمَر بالأمر فلا ينفذ ويُردّ علىّ رأيى ويُحال بين أعوانى وبين طلبَتى ثم إنّ هذا سلِمة بن ذؤيب يدعو الى الخلاف عليكم ليفرّق جماعتكم ويضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف) فقال الأحنف [٢] والناس : نحن نأتيك بسلمة فأتوه بسلمه فإذا جمعُهُ قد كثف والفتق قد اتّسع ، فلمّا رأوا ذلك قعدوا عن ابن زياد فلم يأتوه .فدعا عبيدُ الله رؤساء محاربة السلطان وأرادهم ليقاتلوا معه ، قالوا : إن أمرَنا قوّادُنا فعلنا فقال له إخوته : ما من خليفه فتقاتل عنه فإن هزِمتَ

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك حـ ٥ ص ٥٠٤ ، ٥٠٥ ابن الأثير : الكامل حـ ٤ ص ١٣١ ، ١٣٢ .

(٢) الضحاك بن قيس بن معاوية أبو بحُر التميمى أسلم فى حياة النبى -ﷺ- سيد بنى تميم ، روى عن عمرو وعلي وأبى ذر وآخرين وعنه روى عمرو بن جاوان والحسن البصرى وآخرون ، قاتل مع على فى صفين، غلب عليه لقب الأحنف لحنف رجليه وهو العوج والميل ، اختلف فى تاريخ وفاته فمنهم من قال توفى فى سنة سبع وستين ومنهم من قال إحدى وسبعين . الذهبى : سير أعلام النبلاء حـ ٥ ص ١١٩ : ١٢٧ .

رجعت إليه فأمدك ، ولعلّ الحرب تكون عليك وقد اتخذنا بين هـؤلاء القوم أموالاً فإن ظفروا بنا أهلكونا وأهلكوها فلم تبقَ لك بقيّة [١]

أدرك ابن زياد أن إستمرار ولايته بالبصرة أمر صعب المنال بعد النجاح الذى حققه سلمه بن ذؤيب فقرر الهروب منـها فـلاذ بـدار مسعود بن عمرو الأزدى فظل بها حتى توفى فسار عبيد الله بن زياد إلى الشام [٢] ليشارك الأمويين بالرأى بعد الذى كان من وفاة معاوية الثانى .

صار البصريون بدون والٍ يدبر أمرهم ، ويقيم القـانون فيـهم ، وحتى يجنبوا أنفسهم الاحتراق بنار العصبية القبلية فوضوا قيس بـن الهيثم والنعمان بن سفيان الراسبى فى اختيـار رجـلٍ يتولـى أمـر البصرة فى هذا الظرف الدقيق ، وكان رأى قيس فى بنى أميـة ورأى النعمان فى بنى هاشم فقال النعمان : ما أرى أحداً أحق بـهذا الأمـر من فلان لرجل من بنى أمية ، وقيل بل ذكر له عبد الله بن الأسود

---

[١] خليفة بن خياط : تاريخه ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

ابن الأثير : الكامل حـ٤ ، ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

[٢] خليفة بن خياط : تاريخه ص ٢٥٨ .

ابن الأثير : الكامل حـ٤ ص ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ .

الزهرى وكان هوى قيس فيه ، وإنما قال النعمان ذلك خديعةً ومكـــراً بقيس ، فقال قيس : قد قلدتك أمرى ورضيت من رضيت ، ثم خرجـــا إلى الناس ، فقال قيس قد رضيت من رضى النعمان فكـــانت ولايـــة عبد الله بن الحارث علي البصرة [١]

---

[١] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك حـــ٥ ص ٥١٢ ، ٥١٣ .
ابن الأثير : الكامل حـــ٤ ص ١٣٥ .
النويرى : نهاية الأرب حـــ ٢٠ ص ٥٠٥ .

ولاية عبد الله بن الحارث
على البصرة

لما فوض قيس النعمان بن سفيان الراسبى فى اختيار من يراه صالحاً لأهل البصرة أمسك بيد عبد الله بن الأسود وكان ممن توجهت اليه أنظار البصريين وهم بصدد اختيار والٍ يتولى أمرهم فأخذ عليه العهود والمواثيق حتى ظن الناس أنه اختاره له والياً ثم تركه وسار الى الحارث بن عبد الله ففعل معه نظير ذلك ورقى النعمان منبر المسجد الجامع بالبصرة ،ليعلن على الناس ما استقر رأيه عليه ، وهو يختار حاكماً لهم يتولى أمر مصرهم فقال : (أيها الناس ما تنقمون من رجل من بنى عمّ نبيّكم وأمهّ هند بنت أبى سفيان قد كان الأمر فيهم ، فهو ابن اختكم ثمّ أخذ بيده وقال : رضيتُ لكم به فنادوه : قد رضينا ، وبايعوه وأقبلوا به إلى دار الإمارة حتى نزلها وذلك أول جمادى الآخرة سنة أربع وستّين) [1]

ولعل الذى جعل النعمان يختار عبد الله أنه من ذوى القرابة برسول الله -ﷺ -وأنه ممن شهد له غير واحد بالصلاح والصدق [2] فضلا عن كونه يتصل بالسفيانيين من جهة أمه الذين كان اليهم حكم الدولة الأموية قبل ذلك .

*فهو عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصى ، وأمه هند بنت أبى سفيان بن حرب

---

(1) ابن الأثير : الكامل حـ ٤ ص ١٣٦ .
النويرى : نهاية الأرب حـ ٢٠ ص ٥٠٦ .
(2) ابن حجر : تهذيب التهذيب حـ ٥ ص ١٨١ .

ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى [١] ولـد فـى حيـاة رسول الله - ﷺ -فأتت به هند بنت أبى سفيان أختها أم حبيبة بنـت أبى سفيان بن حرب زوج النبى -عليه السلام -فدخل عليها رسـول الله- ﷺ -فقال : ما هذا يا أم حبيبة ؟ قالت : هذا ابن عمـك وابـن أختى . فتفل رسول الله فى فيه ودعا له [٢] شهد الجابيـة [٣] مـع عمر بن الخطاب [٤]- رضى الله عنه – تزوج بخالدة بنت معتب ابـن أبى لهب فى إمارة عثمان بن عفان رضـى الله عنـه – الـذى ولاه إمارة مكة فى خلافته [٥] .

حدث عبد الله بن الحارث عن عمر وعثمان وعلى والعبـاس وأبى بن كعب ، وكعب الأحبار وطائفة وأرسل حديثا .

كنى بأبى محمد ولقد انتقل عبد الله بن الحارث إلى البصـرة مع أبيه وابتنى بها داراً وكان يلقب بَبّه [٦] ، إذ كانت أمه ترقصـه فى صغره وهى تقول :-

يا ببةٌ يا ببـهْ   لأُنكحـنّ ببّـهْ
جَاريةً خِدبّةْ [٧]   تسودُ أَهلَ الكعبةْ [٨]

---

(١)الزبيرى / نسب قريش ص٨٦ -الذهبى : سير أعلام النبلاء جـ٣ ص١٢٦
(٢)ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ٥ ص ١٧ .
(٣) بكسر الباء وياء مخففة قرية من أعمال دمشق: يا قوت : معجم البلدان جـ٣ ص ٢١ .
(٤)الذهبى : سير أعلام النبلاء جـ٣ ص ١٢٦ .
(٥)ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ٥ ص ١٧ ، ١٨ .
(٦)حكاية صوت صبى وتطلق علي الغلام الممتلئ البدن:ابن منظور: لسان العرب مادة ببب .
(٧)يراد بها السمينة اللحم . - ابن منظور : لسان العرب مادة خبب ، ببب .
(٨)الذهبى : سير أعلام النبلاء جـ٣ ص ١٢٦ .

فلما استقر أمر البصريين على عبد الله بن الحارث كتبوا إلى عبد الله بن الزبير إنا قد رضينا به فأقره عبد الله بن الزبير علي البصرة . (١)

كان من المأمول ألا تجد العصبية القبلية مجالاً لها بعد إجماع البصريين علي مبايعة بَبّه بالإمارة لما اختاره النعمان ابن سفيان لهم إلا أن قبيلتى الأزد وربيعة عمدتا الى بعث هذه العصبية من جديد فأحيوا التحالف بينهما ، وقرر إعادة عبيد الله بن زياد إلى إمارته بالبصرة وتنحية بَبّه عنها ، فلما رفعوا الأمر الى عبيد الله ابن زياد رأى البقاء فى مكانه حيث هو فى دار مسعود بن عمرو إلى أن ينجح المتحالفون فى تعبيد طريق عودته إلى إمارته بالبصرة ، وأوعز عبيد الله بن زياد إلى عدد من مواليه بالانخراط فى صفوف البصريين حتى يوافوه بسكناتهم وحركاتهم ليكون علي بينه من أمره وهو يتخذ قراره بالعودة إلى البصرة من عدمه .

تمكن المتحالفون من جعل مسعود بن عمرو يرقى منبر المسجد الجامع بالبصرة والخطبة فى أهلها ، وكان عبد الله ابن الحارث فى دار الإمارة فلما قيل له ، إن مسعوداً وأهل اليمن وربيعة قد ساروا وسيهيج بين الناس شر فلو أصلحت بينهم وركبت فى بنى تميم ، فقال : أبعدهم الله ، والله لأفسدت نفسى فى صلاحهم ، فلما رأى بنو تميم أن المتحالفين قد ازداد فسادهم فى البصرة .

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى حـ٥ ص ١٨ .

وكثر تنكيلهم برجالهم لجئوا إلى زعيمهم الأحنف بن قيس ليخرج بهم للقاء "مسعود بن عمرو" و"مالك بن مسمع" زعيمي "الأزد" "وربيعة" فلم يخرج معهم الأحنف بن قيس إلا بعد أن تثبت من الأمر ورأى أن الخروج إلى الحرب صار ضرورة فتمكن التميميون من قتل "مسعود بن عمرو" فى الأول من شوال سنة أربع وستين للهجرة ، ومن ثَمَّ أخفق المتحالفون فى إعادة عبيد الله بن زياد إلى إمارته بالبصرة [١]

لما وقف الخوارج علي الخلاف الذى شجر بين البصريين رأوا اهتبال هذه الفرصة فخرجوا بقيادة زعيمهم نافع بن الأزرق فرماهم عبد الله بن الحارث والى البصرة برجال عليهم مسلم ابن عبيس بن ربيعة فتمكن من طردهم من البصرة واشتبك معهم عند الأهواز [٢] فاستشهدوا وقتل نافع بن الأزرق ولقى غير واحد من قادة الفريقين نفس المصير حتى نجح الخوارج فى هزيمة البصريين عند الأهواز فتملك الفزع أفئدة أهل البصرة مما كان سبباً فى جعل عبد الله بن الزبير يأمر بعزل [٣] عبد الله بن الحارث عن المصر بعد

---

[١] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك حـ٥ ص ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥٢٥ .
النويرى : نهاية الأرب حـ٢٠ ص ٥٠٧ ، ٥٠٨ .

[٢] آخرها زاى تطلق علي كورة باقليم خوز ستان يحده من الشرق بلاد فارس ، يقع شرقى العراق ، وشمال الخليج العربى افتتحه المسلمون حوالى عام ١٦هـ - يا قوت : معجم البلدان حـ١ ص ٢٢٦ : ٢٢٨ . أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى حـ١ ص ٢١١ ، ٢١٢ .

[٣] ابن الأثير : الكامل حـ٤ ص ١٤٢ ، ١٤٣ ، ص ١٩٤ ، ١٩٥
النويرى : نهاية الأرب حـ٢٠ ص ٥٢٣ ، ٥٢٤ .

عام من حكمه لها وفيما بعد خرج منها هارباً إلى عمان خوفـــاً مـــن الحجاج إبان فتنة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فمات بعمان فـــى سنة أربع وثمانين [١]

---

[١] ابن سعد : الطبقات الكبرى حـــ٥ صـــ١٨ – الذهبى : سير أعلام النبلاء: حـــ٣ ص ١٢٧ .

ولاية الحارث بن عبد الله

علي البصرة

جعل عبد الله بن الزبير الحارث بن عبد الله علـــي البصـــرة عوضا عن عبد الله بن الحارث [١] والوالى الجديد هو الحـــارث ابـــن عبد الله بن أبى ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بـــن مخـــزوم القرشى المخزومى [٢] وهو لأم ولد نصرانية ماتت علي دينها وشارك المسلمون النصارى فى تشييعها إلى مثواها الأخير [٣] ولقب الوالـــى المذكور بقباع [٤] فاشتهربه [٥] .

روى عن النبـــى -ﷺ- مرســـلاً وعـــن عمـــرو ومعاويـــة وغيرهم وعنه روى سعيد بن جبير والشعبى وغيرهما [٦]

كان علي الحارث بن عبد الله تـــأمين البصـــرة مـــن خطـــر الخوارج المتربصين بها فإن هؤلاء لم يفت فى عضدهـــم مـــا نـــزل بقادتهم من القتل والجراحات علي يد البصريين فى عهد عبد الله ابـــن

---

[١] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك حـــ٥ ص ٥٢٨ ، ٥٢٩ . النويرى : نهاية الأرب حـــ٢٠ ص ٥١٠ .

[٢] ابن الأثير : أسد الغابة حـــ١ ص ٤٥٧ .

[٣] ابن سعد : الطبقات الكبرى حـــ٥ ص ٢١ .

[٤] ذكر ابن منظور أن الحارث عير مكاييل البصرة فنظر إلى مكيال صغير فى مرآة العين أحاط بدقيق كثير فقال : إن مكيالكم هذا لقباع ، وقد تطلق الكلمة فيراد بها المكيال الضخم الواسع ، لسان العرب مادة قبع .

[٥] ابن سعد : الطبقات الكبرى حـــ٥ ص ٢١ .

[٦] ابن حجر : تهذيب التهذيب حـــ٢ ص ١٤٤ .

الحارث ، فعادوا إلى البصرة يريدون الاستيلاء عليها فى عهد واليها الجديد ، فلما علم البصريون بأمرهم فزعوا إلى الأحنف بن قيس ليخرج بهم حتى يحاربوا الخوارج إلا أن الرجل وهو المجرب العارف بالرجال أشار عليهم بالمهلب بن أبى صفرة [١] ليولوه عليهم [٢] فوضع البصريون كتاباً علي لسان عبد الله بن الزبير يأمر فيه المهلب بالخروج علي رأس جيش البصرة لقتال الخوارج فلما جاءه الكتاب قال المهلب لهم (والله لا أسير إليهم إلا أن تجعلوا لى ما غلبت عليه وتقطعونى من بيت المال ما أقوى به من معي فأجابوه إلى ذلك وكتبوا له به كتاباً وأرسلوا إلى ابن الزبير فأمضاه فاختار المهلب من أهل البصرة ممن يعرف نجدته وشجاعته اثنى عشر ألفا فسار بهم المهلب حتى طرد الخوارج عن البصرة وظل يلاحقهم إلى أن أجلاهم إلى الأهواز ، هناك صبر الفريقان لبعضهما ودارت بينهما معارك عدة انتهت بهزيمة البصريين علي يد الخوارج الذين انبثت جموعهم تريد ملاحقة فلول البصريين المنهزمة ومن ثم الاستيلاء

---

[١] ظالم بن سراق بن صبح بن كندى العتكى البصرى ، ولد عام الفتح وقيل بل ذلك أبوه ، حدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص وآخرين روى عنه غير واحد منهم سماك بن حرب حمل عكرمة بن أبى جهل أبا المهلب وكان صغيراً إلى المدينة بعد ما هزم قومه الذين كانوا ارتدوا عن الدين ، سكن البصرة توفى بمرو الروذ سنة اثنتين وثمانين وقيل فى التى تليها . ابن سعد: الطبقات الكبرى حـ٧ ص ٩٣ . الذهبى : سير أعلام النبلاء حـ٥ ص ٣٣٠ .

[٢] ذكر ابن اعثم فى الفتوح حـ٦ ص ١٠ ، ١١ أن الذى أشار بالمهلب بعض البصريين وليس الأحنف بن قيس وأن ذلك قد كان فى حضرة الوالى الذى دعاهم للتشاور فى أمر الخوارج الذين هددوا البصرة .

علي البصرة [١] ومما زاد الموقف حرجاً علي أهلها فى هذا الوقت ما بلغهم أن المهلب قُتِل فرُج المصر بأهله وهم أميرهم الحارث بن أبى ربيعة بالهروب لولا أن البشير أقبل إلى أهل البصرة بسلامة المهلب فاستبشروا بذلك واطمأنوا وأقام أميرها فى عمله بعد ما كان أزمع الهرب [٢].

أما المهلب بن أبى صفرة فإنه استطاع بمهارته الحربية تحويل هزيمته إلى نصر فاهتبل فرصة ملاحقة الخوارج .للبصريين وباغت عسكرهم وتمكن من إلحاق الهزيمة بهم وجعلهم ما بين قتيل وجريح وأسير ، وسارت أمتعتهم غنيمةً له ولجنده[٣] وكتب كتاباً إلى الحارث بن عبد الله يبشره فيه بالفتح الذى أفاء الله به عليه فى حربه للخوارج فرفع الحارث هذا الكتاب إلى عبد الله بن الزبير بمكة [٤] وبذلك أمن المهلب البصرة من خطر الخوارج فى عهد الحارث بن عبد الله الذى ما كاد يستريح من هذا الخطر حتى فاجأه خطر آخر فى البصرة تمثل فى دعوة المختار بن أبى عبيد البصريين للانضمام إلى شيعته فإنه أرسل إليهم رجلاً ذا عشيرة فى البصريين هو المثنى بن مخربة العبدى فأجابه إلى دعوته رجال من البصريين فساربهم إلى دار الرزق فعهد الحارث بن عبد الله إلى صاحب شرطته

---

[١] ابن الأثير : الكامل حـ٤ ص ١٩٥ : ٢٠٠ .

[٢] الدينورى : الأخبار الطوال ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ .

[٣] ابن الأثير : الكامل حـ٤ ص ١٩٥ : ٢٠٠ . النويرى : نهاية الأرب حـ٢٠ ص ٥٢٤ ، ٥٢٥ .- الخضرى : محاضرات فى تاريخ الدولة الأموية ص٤٨٧ ، ٤٨٩.

[٤] ابن اعثم : الفتوح حـ٦ ص ٢٤ ، ٢٥ .

عباد بن حصين وقيس بن الهيثم التصدى للمثنى ورجاله فلما هزموهم لجأ المثنى إلى عشيرته بالبصرة وكادت تحدث حرب داخلية بها حين أراد واليها القبض علي رسول المختار إلى البصريين لولا تدخل الأحنف بن قيس الذى قضى بخروج المثنى وعصبته من البصرة آمنين دون أن يعرض لهم أحد بسوء [١]

ويبدو أن ابن الزبير كان يثق فى الحارث وهمته لما رآه من نجاحه فى حفظ بلاده من الخوارج ودعاة المختار فأرسل إليه يطلب منه مدداً حين هاجم جيش ابن دلجة من قبل مروان المدينة المنورة فكان لوجود البصريين أثر فى هزيمة المدنيين للأمويين عند تخوم المدينة [٢] ظل الحارث بن عبد الله علي البصرة حتى عزله عبد الله ابن الزبير عنها بعد ولاية استغرقت عاما ؛ ليؤول المصر بعده إلى مصعب بن الزبير [٣]

---

[١] ابن الأثير : الكامل حـ٣ ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ . النويرى : نهاية الأرب حـ٢١ ص ٣٤ .

[٢] اليعقوبى : تاريخه حـ٢ ص ٢٥٦ .

[٣] ابن سعد : الطبقات الكبرى حـ٥ ص ٢١ .

ولاية مصعب بن الزبير علي البصرة

لم تكن ولاية مصعب بن الزبير كغيرها من ولاة الزبيريين علي البصرة فيها ختم العهد الزبيرى ، وكانت أطو لها عمراً وأكثرها أثرا علي مجريات الأحداث بالدولة الإسلامية كما سأبينه .

والوالى المذكور هو مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد وأمه الرباب بنت أنيف بن عبيد بن مصاد بن كعب بن عليم بن جناب من كلب . تزوج بسكينة بنت الحسين وعائشة ابنة طلحة ، وأنجب أولاداً منهم عكاشة وعيسى ، كان من أحسن الأمراء الذين تولوا أمر البصرة ، وهو من أجود الناس وأكثرهم عطاء ، لا يستكثر ما يعطى فكانت عطاياه للقوى والضعيف والوضيع ، والشريف متقاربة [١]

ولأن عبد الله بن الزبير يعلم عن البصرة أهمية موقعها ووفرة رجالها من المقاتلين الشجعان فإنه جعل عليها أخاه مصعبا حتى يحكم السيطرة عليها ويبادر إلى معاونته إذا ما دعت الحاجة إلى ذلك فلما قلده عبدالله أمرها قدمها مصعب متلثما ودخل المسجد وصعد المنبر فقال الناس : أمير أمير وجاء الحارث بن أبى ربيعة وهو الأمير فسفر مصعب لثامه فعرفوه ، وأمر مصعب الحارث بالصعود إليه فأجلسه تحته بدرجة ثم قام مصعب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : بسم الله الرحمن الرحيم " طسٓمٓ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن

---

[١] ابن سعد : الطبقات الكبرى حـ٥ ص ١٣٩ ، ١٤٠ – ابن كثير : البداية والنهاية حـ٨ ص ٣١٧ : ٣٢٣ – الذهبى : سير أعلام النبلاء حـ٥ ص ١٥٩ : ١٦٢ .

"نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون إلى قوله من المفسدين" فأشار بيده نحو الشام ؛ (وَنُرِيدُ أن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ استُضعِفُوا فِي الأَرضِ وَ نَجعَلَهُم أئِمَّةً و نَجعلَهُمُ الوَارِثِينَ) وأشار نحو الحجاز ؛ (وَ نُرِى فِرعَونَ وَهَامَانَ وَ جُنودَهُمَا مِنهُم مَّا كانُواْ يَحذَرُونَ)[1] ؛ وأشار نحو الكوفة ، وقال : يا أهل البصرة بلغنى أنكم تلقبون أمراءكم وقد لقبتُ نفسى بالجزّار[2]

وكان المختار بن أبى عبيد قد ظهر بالكوفة والتف حوله الجم الغفير فخشيه أشراف أهلها ولاسيما أولئك الذين اضطلعوا بدور فى مقتل الحسين رضوان الله عليه فلجأوا إلى مصعب بن الزبير بالبصرة فكان منهم من قطع ذنب بعيره وطرف أذنها مثل شبت بن ربعى فاستجاب لهم مصعب بن الزبير وكتب إلى المهلب بن أبى صفرة ليوافيه حتى يقاتلوا المختار[3].

ولست هنا بصدد تفصيل فتنة المختار بن أبى عبيد لكونها وقعت على أرض الكوفة إنما الذى يعنينى القول بأن مصعب بن الزبير نجح فى القضاء على المختار بن أبى عبيد وقتل أتباعه مما أسهم فى علو نجمه.

ويذكر اليعقوبى أنه لما قتل مصعب بن الزبير المختار ، واستقامت له أمور العراق ، حسده عبد الله بن الزبير على ذلك فوجه

---

[1] سورة القصص آية ١ : ٦.

[2] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ٩٣.

ابن الأثير : الكامل جـ ٤ ص ٢٦٦ ، ٢٦٧.

[3] النويرى : نهاية الأرب جـ ٢١ ص ٤٤،٤٥.

حمزة ابنه إلى البصرة ، وكتب إلى مصعب أن يصرف أمرهـــا إلـــى حمزة ففعل ذلك.[١]

ولقد اختلف المؤرخون حول ما إذا كان قرار عزل مصعب عـن البصرة قد وافاه وهو بالعراق أم أن عبد الله منع مصعباً من الرجـوع إلى عمله لمـــا زاره إثــر قتلــه للمختــار فيذكــر الطــبرى أن :- المُصْعَب لما سار إلى المختار استَخلف على البصرة عبيـــد الله ابـــن معْمَر ، فقُتِل المختار ثم وفد إلى عبد الله بنِ الزبير فعزلـــه وحبســه عنده واعتَذرَ إليه من عَزْله ، وقال : والله إنى لأعلـــم أنـّـك أحــرىَ وأكفى من حمزَةَ ، ولكنى رأيتُ فيه رأى عثمانَ فـــى عبــد الله ابــنِ عامر حين عَزَل أبا موسى الأشعرىِ وولاَه.[٢]

فى حين تذكر رواية أخرى :- أن مصعبا أقام بالكوفة سنةً بعد قتل المختار معزولاً عن البصرة ، عزله أخـــوه عبـــد الله واســتعمل عليها ابنَه حمزة ثم إنّ مصعبا وفد على أخيه عبـــد الله فـــردّه علـــى البصرة ، وقيل بل انصرف مصعب إلى البصرة بعد قتـــل المختـــار، واستعمل على الكوفة الحارث بن أبى ربيعة ، فكانتــا فـــى عمـــله،

---

[١] اليعقوبى : تاريخه جـــ ٢ ص ٢٦٤.

[٢] تاريخ الرسل والملوك جـــ ٦ ص ١١٧.

فعزلــــه أخــــوه عــــن البصــــرة واســــتعمل ابنَه حمزة[١]

إن من يمعن النظر فى الروايات السابقة يجد أن الطبرى جعــل العزل عند زيارة مصعب لأخيه بينما جعل ابن الأثير هذه الزيارة بعــد العلم بالعزل وحكم مصعب للمصرين زمناً بعد قتله للمختــار ، ليـس هذا فحسب بل إن رواية الطبرى صرحت بالغاية التى توخى عبــد الله تحقيقها لولده حين عزل أخاه عن المصر ليجعله لولده معلياً البنــوة على الأخوة.

ولقد زاد الطبرى الأمر وضوحا حين ذكر على لسان عبــد الله وهو ينقض سياسة ولده بالبصرة (أبعَده الله ! أردتُ أن أبــاهَى بــه بنى مروان فنكَصَ).[٢]

وإن جاز للمرء ترجيح رواية على أخرى فإنه يميل إلــى مــا ذكره الطبرى لأن عبد الله بن الزبير لما رأى أخاه قد وطد له الأمــور بالبصرة والكوفة بهزيمته للمختار رأى الدفع بولده إلى حكمها مؤثـرا إياه على أخيه بنعيمها ، فليس هناك من سبب يمكن للمرء أن يــبرر به عزل عبد الله لمصعب عن البصرة فى ولايته الأولى إلا مــا ذكـر لأنه لا مجال للمقارنة بين رجل ضرب به المثل فى الشــجاعة بيــن القرشيين هو مصعب بن الزبير وبين آخر دفع به أبوه إلــى الحكــم

---

[١] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ١١٨.
ابن الأثير : الكامل جـ ٤ ص ٢٧٩.

[٢] تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ١١٨.

دون النظر فيما إذا كان لديه من التجارب والمؤهلات التـــى تجعلـه يحكم بلاداً واسعة كالبصرة والمناطق التى تتبعها.

وعلى كل حال فإن حمزة بن عبد الله بن الزبير لما قدم البصرة حاكما ظهر منه ما جعل البصريين يستضعفونه ولا يقيمـون وزنـا لسلطانه فكان يجود أحياناً حتى لا يَدعَ شيئاً يملكه ، ويمنع أحيانـاً ما لا يمنع مِثلهُ فظهرت منه خفّه وضعف ، فيقال إنه ركب يوماً إلــى فَيْض البَصرةْ ، فلما رآه قال : إن هذا الغدِير إن رَفقُوا به ليكفينّهـم صَيفهَم ، فلما كان بعد ذلك ركب إليه فوافقه جازراً ، فقال : قد رأيـت هذا ذات يوم ، وظننت أن لن يكفيهم، فقال الأحنف إن هذا ماءٌ يأتينـا ثم يغيّض عنّا ، وبعث حمزة إلى مَرْدَانْشَاه فاستحثه بالخراج ، فأبطـأ به ، فقام إليه بسَيْفه فضربه فقتله ، فقال الأحنف مـا أحدَّ سـيفَ الأمير[1]!

وكتب إليه أبيه وسأله أن يعزل حمزة عنهم ويعيد أخاه مصعبـاً فعزله ، فاحتمل حمزة معه عند رحيله عنها مـالاً كثـيراً مـن مـال البصرة ، فعرض له مالك بن مسمع فقـال لـه : لا ندعـك تخـرج بعطايانا ، فضمن له عبيد الله بن عبـد الله الغطـاءَ فكـفّ عنـه ، وشخص حمزة بالمال وأتى المدينة فأودعه رجالاً ، فجحدوه إلاّ رجـلاً واحداً فوفى له ، فلما بلغ ذلك اباه أنكر على ولده ما فعل.[2]

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ١١٧.

(٢) ابن الأثير : الكامل جـ ٤ ص ٢٧٩.

اليعقوبى : تاريخه جـ ٢ ص ٢٦٤.

وذكر فى سبب عزله قول آخر وهو: أنه قصر بالأشراف وبسط يده ففزعوا إلى مالك بن مسمع فضرب خيمته على الجسر ثم أرسل إلى حمزة : إلحق بأبيك ، وأخرجه عن البصرة.[١]

ويذكر ابن أعثم الكوفى نقيض ما تقدم فى سبب عزل حمزة عن البصرة أن الوالى لما لقبه البصريون (بقعيقعان)[٢] غضب من ذلك ثم كتب إلى أبيه يستعفيه من الولاية فعزله وأرسل مكانه مصعب ابن الزبير.[٣]

مما تقدم يتبين للقارئ الكريم أن حمزة بن عبد الله أثار البصريين عليه بفعله فيهم فإنه تخلى عن الأناة فى معالجته لأمور ولايته مثلما رآه القارئ يقتل مردانشاه لما إستبطأ وصول خراجه فأخذ عليه الأحنف ذلك وبنى عليه رأيه فيه ذلك الذى رفعه إلى أبيه يطلب فيه عزله عنهم ناهيك عن سوء معاملته لأشراف البصرة ورؤسائها أحدث ذلك هوةً بين الحاكم والمحكومين مما عجل بأفول نجمه وعودة مصعب بن الزبير.

لما جاء مصعب بن الزبير إلى البصرة سنة ثمان وستين للهجرة نهض بعبء المحافظة على أمنها من الخوارج الذين كانوا يحاولون النيل منها والمناطق التابعة لها وقد نجح فى ذلك إلى حد

---

(١) ابن الأثير : الكامل جـ ٤ ص ٢٨١.

(٢) بالضم ثم الفتح بلفظ تصغير ، جبل بالأهواز نحتت منه أساطين مسجد البصرة سمى بذلك حين زاره واليها حمزة بن الزبير فقال : كأنه قعيقعان (يريد جبل مكة) فنزمه ذلك.

ياقوت : معجم البلدان جـ ٧ ص ٧٤.

(٣) الفتوح : جـ ٦ ص ٣٩.

كبير [١] وبينما هو يعانى من الخوارج إذ بعبد الملك بن مروان [٢] يعمل على سلخ العراق من الزبيريين ليكون تحت سيطرة الحكم الأموى فسير إلى البصرة فى سنة سبعين للهجرة خالداً بن عبد الله ابن خالد بن أسيد بن أبى العيص فى وقت كان فيه مصعب بالكوفة.

وكان خالد قد قال لعبد الملك إن وجهتنى إلى البصرة وأتبعتنى خيلاً يسيرة رجوت أن أغلب لك عليها.[٣] فوجهه عبد الملك فقدمها مستخفياً فى خاصته حتى نزل على عمرو بن أصمع فأرسل عمرو إلى عباد بن الحصين وهو على شرطة عبيد الله بن معمر ، وكان مصعب قد استخلفه على البصرة ، ورجا ابن أصمع أن يبايعه عباد ابن الحُصين وقال له : إنى قد أجرت خالداً وأحببت أن تعلم ذلك لتكون ظهراً لى ، فوافاه الرسوُل حين نزل عن فرسه فقال عبّاد : قل له و الله لا أضع لبدَ فرسى حتى آتيَكَ فى الخيل فقال ابن اصمع لخالد: إن عبّاداً يأتينا الساعة ولا أقدر أن أمنعك عنه فعليك " بمالك ابن مسمَعٍ" فأتى خالدٌ مالكاً بن مسمع فأجاره وأرسل إلى حلفائه ليوافوه وانقسم أهل البصرة إلى فريقين : فريق شايع خالداً بقيادة

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ١٢٠،١٢١،١٢٢.

[٢] أبو الوليد بن الحكم ، أمه عائشة بنت معاوية بن المغيره بن أبى العاص ، أول من سمى بهذا الإسم فى الإسلام بويِع له بالخلافة فى شهر رمضان سنة ٦٥هـ.

استمر فى المنصب احدى وعشرين سنة وخمسة عشر يوما منها سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة عشر يوماً جاهد فيها عبد الله بن الزبير فى مكة ، نقش خاتمه (آمنت بالله مخلصاً) توفى فى النصف من شوال سنة ست وثمانين عن ستين سنة ، وقد أعقب من الأولاد ثمانية عشر ولداً .

القضاعى : الإنباء بأنباء الأنبياء ص ٢١٧:٢١٩.

[٣] الزبيرى : نسب قريش ص ١٨٩.

مالك بن مسمع والآخر ظل على ولائه لمصعب بن الزبير بالبصرة وخليفته عليها "ابن معمر".

ودارت بين الفريقين معركة ضروس عند الجفرة [١] امد فيها مصعب رجاله بألف عليهم " زحر بن قيس الجُعْفي " ، ومثل ذلك فعل عبد الملك فأمد خالداً بجند من قبله عليهم عبيد الله بن زياد ابن ظبيان . إلا أن مدد عبد الملك عاد إليه دون أن يصل إلى البصرة إذ كانت الحرب بين الزبيريين والأمويين قد وضعت أوزارها بانهزام خالد وأتباعه.

ولما عاد مصعب إلى البصرة أوسع الرجال الذين شايعوا خالداً ضرباً وأغلظ لهم القول وحلق شعورهم وأقامهم أياماً في العراء وجمر أبناءهم في البعوث وهدم دور بعضهم قبل أن يعود إلى الكوفة مرةً أخرى [٢]

وهكذا كانت حرب الجفره بمثابة بداية النهاية لحكم مصعب والزبيريين بالبصرة فإن موقفه من البصريين بعد هذه الموقعة جعل السواد الأعظم منهم لا يبدون حماسةً في الذب عن ولايته ومن ثَمَّ

---

[١] بالضم آخرها هاء ، موضع بالبصرة يعرف بجفرة خالد قائد عبد الملك والذى خاض على أرضها معركة استمرت أربعين يوماً ضد الزبيريين.

ياقوت : معجم البلدان جـ ٣ ص ٦٤.

[٢] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ١٥١: ١٥٦.

ابن اعثم : الفتوح جـ ٦ ص ٢٥٥: ٢٥٩.

ابن الأثير : الكامل جـ ٤ ص ٣٠٦،٣٠٧،٣٠٨.

ابن الجوزى : المنتظم جـ ٤ ص ٢٦٣.

ابن خلدون : تاريخه جـ ٣ ص ٤٣،٤٤.

عن خلافة أخيه بل على النقيض من ذلك راح الكثير من وجهائهم يعملون سراً لصالح عبد الملك بن مروان مثلما يراه القارئ من موقف العراقيين والأمويين عند مسكن[١]

موقعة مسكن

على الرغم من هزيمة جند عبد الملك عند الجفرة فإن الرجل ما فتئ يعمل على استثمار ما وقع بسببها بين مصعب والبصريين لصالحه فطفق يكاتب سراً وجهاء البصرة والمروانيين المقيمين بها يعدهم ويمنيهم الأعمال حتى ينقلبوا على مصعب بن الزبير الذى علم بأمر هذه المراسلات عن طريق إبراهيم بن الأشتر وهو ممن كاتبهم عبد الملك.[٢]

ذلك أنه لما وصل الكتاب إليه سار به إلى مصعب بن الزبير فدفعه إبراهيم إليه فقال له مصعب ما فيه فقال: ما قرأته، فقرأه مصعب فإذا هو يدعوه إلى نفسه ويجعل له ولاية العراق ، فقال لمصعب : إنه والله ما كان من أحد آيس منه منى ، ولقد كتب إلى أصحابك كلهم بمثل الذى كتب إلى فأطعْنى فيهم فاضربْ أعناقهم قال: إذاً لا تُناصِحنا عشائرُهم قال : فأوقرْهم حديداً وابعث بهم إلى

---

[١] بالفتح ثم السكون وكسر الكاف ونون
موضع قريب من أوانا على نهر دُجيل عند دير الجاثليق
ياقوت : معجم البلدان جـ ٨ ص ٢٦٤،٢٦٥

[٢] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ١٥٧
الدينورى : الأخبار الطوال ص ٣١٢
ابن عبد ربه: العقد الفريد جـ ٤ ص ٤١٠.

أبيض كسرى فاحبسهم هنالك ، ووكلْ بهم مــن إن غلبــتَ ضــرب أعنقهم ، وإن غلبت مننتَ بهم على عشائرهم فقال : يا أبا النعمــان ، إنى لفى شغل عن ذلك يرحم الله أبا بحر ، إن كان ليحذرنى غدرَ أهــل العراق ، كأنه كان ينظر إلى ما نحن فيه! [١]

ولما أزمع عبد الملك الخروج بالشاميين للقاء مصعب عند ديـر الجاثليق[٢] بمسكن حاول هؤلاء أثناءه عن ذلك وجعل هذه المهمة إلــى رجل من قادته أبى ذلك وقال لهم : (إنه لا يقوم بهذا الأمر إلا قرشــى له رأى ، ولعلى أبعث من له شجاعة ولا رأى له ، وإنــى أجــد فــى نفسى أنى بصير بالحرب شجاعٌ بالسيف إن الجئتُ إلى ذلك ومصعــب فى بيت شجاعة ، أبوه أشجع قريش ، وهو شــجاع و لا علــم لــه بالحرب ، يحبُ الخفض ومعه من يُخالفه ومعى من ينصح لى.

فسار عبد الملك حتى نزل مَسْكِن ، وســـار [٣] مصعــب إلــى باجُمَيْرَا [٤] فلم يفصله عن معسكر عبد الملك إلا ثلاثة فراسخ.

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ١٥٧.
ابن الأثير : الكامل جـ ٤ ص ٣٢٥.

(٢) دير قديم البناء رحبُ الفناء من طسّوج مسكن قرب بغداد فى غربى دجلة فى عرض حربى وهو فى رأس الحد بين السواد وأرض تكريت.
ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ ص ٣٣٧.

(٣) الطبرى تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ١٥٧.
ابن الجوزى : المنتظم جـ ٤ ص ٢٦٤.

(٤) بضم الجيم وفتح الميم وياء ساكنة وراء مقصورة موضع دون تكريت / ياقوت معجم البلدان جـ ٢ ص ٢٥١.

ولما التقى الفريقان عند مسكن قاتل مصعب بن الزبير وشيعته جند الشام في جمع يسير من العراقيين الذين انفضوا عنه [١] كعادتهم مع قادتهم في ساعة الوغى ولقد حاول عبد الملك جعل مصعب يدخل في أمانه فأرسل إليه محمداً بن مروان بالأمان فأبى مصعب إلا القتال فقاتل حتى طعنه "زائدة بن قدامة" بسهم أسقطه على الأرض واحتز رأسه " عبيد الله بن زياد بن ظبيان"[٢] وذلك في يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من جمادى الأولى أو الآخرة سنة احدى وسبعين للهجرة[٣].

كان من الطبعي أن تضطرب الأمور بالبصرة بعد قتل واليها مصعب بن الزبير ، فإن غير واحد من رجالها كان يمني نفسه بولايتها . فها هو ذا حمران بن أبان وعبيد الله بن أبي بكرة يتنازعان ولاية البلد بعد علمهما بقتل مصعب فقال ابن أبي بكرة لحمران بن أبان أنا أعظم غناءً منك ، أنا كنت أنفق على أصحاب خالد يوم الجُفْرة فقيل لحُمران : إنك لا تقوى على ابن أبي بكرة فاستعن بعبد الله بن الأهتم ، فإنه إن أعانك لم يقو عليك ابن أبي بكرة ففعل ، وغلب حمران على البصرة وابن الأهتم على شرطها.

---

[١] ابن الجوزي : المنتظم جـ ٤ ص ٢٦٤،٢٦٥.

[٢] الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ١٥٩.

الدينوري : الأخبار الطوال ص ٣١٣.

ابن اعثم : الفتوح جـ ٦ ص ٢٦٣، ٢٦٤.

اليعقوبي : تاريخه جـ ٢ ص ٢٦٥.

[٣] ابن الجوزي : المنتظم جـ ٤ ص ٢٦٦.

وحمران بن أبان ذو منزلة عظيمة عند الأمويين يدلك على هذا أنه حين مال رداؤه عن عاتقه ابتدره مروان وسعيد بن العاص أيهما يسويه[١].

لم تطل ولاية حمران على البصرة فإن عبد الملك بعد قتله لمصعب دخل بلاد العراق فبايعه[٢] العراقيون البصريون منهم والكوفيون لتستقبل البصرة عهداً جديداً حكمها فيه المروانيون بولاة أرسلوهم إليها تباعاً حتى غربت شمس الدولة الأموية على يد العباسيين.

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ١٦٥.
ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٨ ص ٣١٧.
(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ١٦.

الفصل الثانى

ولاة البصرة فى العهد المروانى

لما دانت بلاد العراق بالطاعة لعبد الملك طفق يرسل إليها الولاة من قبله فأرسل إلى البصرة أول والٍ عليها بعد قتله لمصعب هو خالد بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد ، جده أَسِيد بن أبى العيص ، زعموا أن رسول الله - ﷺ - نظر إلى ولده خالد بن أَسِيد يتقاذف فى مشيته ؛ فقال "اللهم زده فخراً".

مات ذلك الجد بمكة وله من الولد عبد الله بن خالد وغيره فولد عبد الله بن خالد بن أسيد خالداً الذى حارب خليفة مصعب على البصرة عند الجفرة كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، والعجب أن خالداً هذا كان قبلاً من شيعة مصعب فانقلب عليه لما اتهمه بممالأة المختار بن أبى عبيد الثقفى فلما كان ما كان من أمر هزيمة المختار وقتله لجأ خالد إلى عبد الملك فأحسن الافادة منه.(١)

لما رأى عبيد الله بن أبى بكرة أن حمران بن أبان قد صفت له البصرة دونه شد رحاله إلى حاضرة عبد الملك فرفع إليه ما كان بينه وبين حمران من نزاع على ولاية البصرة .

ويبدو لى أن عبد الملك أراد أن يجنب البصرة صراعاً قبلياً ربما ينشب بسبب الخلاف بين الرجلين فرأى أن الأوفق للمصر أن يعهد به إلى خالد بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد هذا ومن ناحية أخرى

---

(١) الزبيرى : نسب قريش ص ١٨٧ : ١٩٠.

فإن الخليفة ربما أراد مكافأة قائده على إخلاصه لـــه فـــى مجابهتـــه لمصعب بن الزبير ولأن لخالد عشيرةً بالبصرة يتقوى بها ، ومن ثَـــمَّ جعله أول والٍ له على البلد ، فلما ولاه أوصاه بقوله : أكرم جفريتـك يعنى الذين قاتلوا معه يوم الجُفرة ونصروه على عمال ابـــن الزبـــير فاستعملهم وأكرمهم.

سير خالد عبيد الله بن أبى بكرة خليفة له عليها حتى يصلـــــها بنفسه فلما رأى حمران بن أبان عبيد الله بن أبى بكرة عـــائداً إلـــى البصرة من سفرته قال له : أقد جئت لا جئت فكان "عبيد الله عليـــها حتى قدم "خالد" [١] إليها فاستدعى المهلب بن أبى صفرة فقـــال لـــه أردت أمراً أكنت أولى به منى ، أنت والله أعلم بحرب القوم غير أنـــى قد رأيت رأياً! قال المهلب : وماذاك؟ أصلح الله الأمير ! فقال أوليـــك خراج الأهواز فتمضى إليها وتنفى الأزارقة عنها وتقيم بـــها وأولّـــى أخى عبد العزيز حرب القوم ؛ فقال له المهلب : أيها الأمـــير أنـــا لا أصلح للخراج ، وأخوك عبد العزيز لا يصلح لحرب الأزارقة لأن هـــذا الأمر له شأن يسكع عنده الجبان ويثبت عنده الحازم[٢] إلا أن خـــالداً أبىَ إلا المضى قدماً فى رأيه فعزله وولاه الأهواز وجعل مكانه أخـــاه عبد العزيز بن عبد الله بن خالد فى التصدى للأزارقة وأمده بمقـــاتل ابن مسمع فأخفق الرجلان فى مهمتهما فهزمتهم الأزارقة وفـــر عبـــد العزيز بن عبد الله بن خالد فى قَلَ يسير من رجاله يطلبـــون النجـــاه

---

[١] خليفة بن خياط : تاريخه ص ٢٦٨.
الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـــ ٦ ص ١٦٥.
ابن الأثير : الكامل جـــ ٤ ص ٣٣٦.
[٢] ابن اعثم : الفتوح جـــ ٦ ص ٣٠٢.

بأنفسهم فلما وقف المهلب على ما نزل بجند خالد بن عبد الله على يد الأزارقة عند الأهواز أشخص رسولاً من عنده إلى خالد بن عبد الله يقول له : أرسلنى إليك المهلب لأخبرك خبر ما عاينته ، قال : وما عاينت ؟ قال رأيت عبد العزيز برامهرمز[١] مهزوما ، قال كذبت ، قال لا والله ما كذبت وما قلت لك إلا الحق فإن كنت كاذباً فاضرب عنقى ، وإن كنت صادقاً فاعطنى أصلحك الله جبتك ومُطرفك : قال ويحك ! ما أيسر ما سألت ولقد رضيت مع الخطر العظيم إن كنت كاذباً بالخطر الصغير إن كنت صادقاً فحبسه وأمر بالإحسان إليه حتى تبينت له هزيمةُ القوم ، فكتب إلى عبد الملك : أما بعد ، فإنى أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أنى بعثتُ عبد العزيز بن عبد الله فى طلب الخوارج ، وأنهم لقوة بفارس فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم عبد العزيز لما انهزم عند الناس وقتل مقاتل بن مسمع وقدم الفَل إلى الأهواز أحببت أن أعلم أمير المؤمنين ذلك ليأتينى رأيه وأمره أنزل عنده إن شاء الله والسلام عليك ورحمة الله.

فكتب إليه :

(أما بعد ، فقد قَدِم رسولُك فى كتابك ، تعْلمنِى فيه بعْثتَك أخاك على قتال الخوارج ، وبهزيمة من هزم وقَتْل من قُتل وسألتُ رسول عن مكان المهلب فحدثنى أنه عاملٌ لك على الأهواز فقبَح الله رأيك حين تبَعْث أخاك أعرابيّاً من أهل مكة على القتال ،

---

[١] هى مدينة مشهورة بنواحى خوزستان تشتهر بالنخل والجوز
ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ ص ٣٨٢،٣٨٣.

وتدع المهلب إلى جنبك يَجبى الخرَاج ، وهو الميَمْونُ النقيبة الحسَن السياسة البصير بالحَرب ، والمقاسى لها ، ابنها وابن أبنائها!).[١]

وعلى الرغم من الجهود التى قام بها والى البصرة ضد الخوارج مؤيداً من والى الكوفة بشر بن مروان إلا أن عبد الملك قرر عزله عن البصرة بعد ما تأكد له أنه غير قادر على حماية البلد من الخوارج المتربصين به [٢] فعزله عن البصره وجعلها إلى أخيه بشر ابن مروان الذى صار والياً على المصرين البصرة والكوفة[٣]

ولاية بشر بن مروان

على البصرة

هو بشر بن مروان أخو عبد الملك بن مروان ، أمة قُطَية بنت بشر بن عامر ملاعب الأسنة بن مالك بن جعفر بن كلاب[٤] ضم إليه أخوه البصرة مع الكوفة بعد الذى كان من أمر خالد بن عبد الله ابن خالد مع الخوارج ، والوالى المذكور منعوت بالسماحه والجود.

---

[١] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ١٧١.

[٢] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ١٦٩ : ١٧٣.

ابن اعثم : الفتوح جـ ٦ ص ٣٠٥ : ٣٠٩.

ابن الأثير : الكامل جـ ٤ ص ٣٤٢ : ٣٤٤.

الخضرى : محاضرات فى تاريخ الدولة الأموية ص ٤٩٠ : ٤٩١.

[٣] ابن الأثير : الكامل جـ ٤ ص ٣٦٣.

ابن خلدون : تاريخة جـ ٣ ص ٤٦.

[٤] الزبيرى : نسب قريش ص ١٦١.

كان لا يغلق دونه الأبواب ويقول إنما يحتجب النســـاء وكـــان طلق الوجه ، وكان يجيز على الشعر بألوف.

وقد امتدحه الأخطل بقوله :-

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ولا دم مهراق[١]

قدم البصرة فى ذى الحجة سنة أربع وسبعين [٢] فكـــان علـــى غرار سلفه فى موقفه من المهلب بن أبى صفرة فإنه لم يتلق بالرضا أمر أخيه عبد الملك له جعل المهلب بـــن أبـــى صفـــرة علـــى رأس البصريين فى التصدى للخوارج فأزمع الكيد له حتـــى يحجبـــه عـــن الأضواء ذلك أنه لما جاءه كتاب الخليفة يأمر بتسيير المهلب لقتـــال الأزارقة عند الأهواز استدعى "بشر بن مروان" عبد الرحمن بن أبـــى مخنف فولاه قيادة الجند الكوفيين الذين أمد بهم جند البصرة بقيـــادة المهلب وقال له : قد عرفتَ منزلتك عندى ، وقد رأيتُ أن أوليّكِ هـــذا الجيش الذى أسيره من الكوفة للذى عرفْته منك، فكنْ عنـــد أحســـن ظنّى بك وانظر إلى هذا الكذا كذا يقع فى المهّلب فاستبد عليه بـــالأمر ولا تقبلنّ له مشورة ولا رأياً وتنقّصه . قال عبد الرحمـــن فـــترك أن يوصّينى بالجيش وقتال العدّو والنظر لأهل الإسلام ، وأقبـــل يغرينـــى بابن عمّى كأنّى من السفهاء ، ما رأيتُ شخصاً مثلى طمع منـــه فـــى مثل هذا ، فلما رأى أنّى لستُ بنشيط إلى جوابه قال لى مالك ؟ قلـــتُ أصلحك الله ، وهل يسعنى إلاّ انفاذ أمرك فيما أحببتُ وكرهت!

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـــ ٩ ص ٧.

(٢) خليفة بن خياط : تاريخه ص ٢٧١.

ولقد عقب أحد الباحثين المحدثين على مقولة بشر لعبد الرحمن (وكان بشر أخرق فيما صنع ، لأنه استجهل القائد وطلب منه ما لا يصح طلبُه وأغراه بالمهلب مع أنه ابن عمه ، ولذلك فإن ذلك القائد لم يكن منه إلا أنه تجاهل كلام الأمير الشاب واستخف بعقله) [1]

وسار المهلب حتى نزل رامهرمز فلقى بها الخوارج فخندق عليه وأقبل عبد الرحمن فى أهل الكوفة فسار حتى نزل على ميل من المهلب حيث يتراءى العسكران برامهرمز فلم يلبث العسكر إلا عشراً حتى أتاهم نعًى بشر بن مروان [2]

فإنه أصيب بقرحة فى عينه فقيل له يقطعها من المفصل فجزع فما أحس حتى خالطت الكتف ثم أصبح وقد خالطت الجوف ثم مات فى أول سنة خمس وسبعين وهو ابن نيف وأربعين سنة ولما احتضر جعل يبكى ويقول : والله لوددت أنى كنت عبداً أرعى الغنم فى

---

[1] فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ص ٢١٩ ، ٢٢٠ .

[2] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك حـ٦ص ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ .
ابن الأثير: الكامل حـ٤ ص ٣٦٥ ، ٣٦٦ .

البادية لبعض الأعراب ولم أل ما وليت ، فذكر قولـــه لسـعيد ابــن المسيب [١] فقال الحمد لله الذى جعلهم عند الموت يفرون إلينا ولـــم يجعلنا نفر إليهم [٢] ،

أحدثت وفاة بشر اضطراباً فى صفوف الجند البصريين وغـيرهم وهم يقاتلون الأزارقة فعاد كثير منهم الى البصـــرة دون إذن قادتـــهم فحاول خالد بن عبد الله بن خالد الذى كان استخلفه بشر على البصرة وهو فى مرض موته تدارك الأمر بعد وفاة الأمير ، فكتب كتاباً الـــى الجند الذين يحاربون الخوارج حذرهم فيه من غائلة العقوبات التـــى سينزلها بهم عبد الملك إن لم يواصلوا قتال الأزارقة وتأمين مصرهم والمناطق التابعة له فليس الخليفة من الرجال الذين لا يخشى المــرء بأسهم (أعلموا على من اجترأتم ومن عصيتم ! إنه عبدُ الملك ابـــنُ مروان أميرُ المؤمنين ، الذى ليست فيه غَميزة ، ولا لِأهل المعصيـــة عنده رُخْصة سوْطه على من عصَى وعلى من خـــالف سـيفه ، فـــلا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً ، فإنى لم آلُكمُ نصيحةً عبـــادَ الله ارجعـــوا إلى مَكتَبْكم (أمكنتكم) وطاعة خليفتكم ولا ترجعوا عاصين مخـــالفين

---

(١) ابن حزن بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخـــزوم القرشـــى المخزومى تابعى ، ولد لسنتين بقيتا من خلافه عمر ، روى عن أبى بكر مرسلاً، وعمرو وعثمان وعلى وغيرهم ، وعنه روى ابنه محمد وسالم بن عبد الله بــن عمرو الزهرى وآخرون ، أفقه أهل الحجاز ، اشتهر بتعبير الرؤيا. توفى ســنة أربع وتسعين هجرية ، عن عمر بلغ تسعاً وسبعين سنة . ابن حجر : تـــهذيب التهذيب حـــ٤ ، ص ٨٤ : ٨٨ .

(٢) خليفة بن خياط : تاريخه ص ٢٧٣ ابن كثير : البداية والنهاية حـــ ٩ ص ٧.

فيأتيكم ما تكرهون . أقسم بالله لا أثقف [١] عاصياً بعد كتابى هـذا إلا قتلته إن شاء الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته)

وعلى الرغم من تحذيرات خالد بن عبد الله بن خالد لهم فإن الجم الغفير منهم عادوا إلى ديارهم فظلوا بها حتى كانت ولاية الحجاج العراق .[٢]

ولاية الحجاج العراق

حظى هذا الرجل بعناية المؤرخين بأخباره بالنظر الى الأعمال التى قام بها للمروانيين قبل أيلولة العراق إليه ولطول مدة هذه الولاية وعظم الأحداث التى وقعت على أرض البصرة وغيرها من حواضر العراق خلالها وهو الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفى تزوج أبوه يوسف من الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفى فاستولدها كُليباً الذى غلب عليه لقب الحجاج ، نشأ فى الطائف فاشتغل مع أبيه بتعليم الصبية ، روى أحاديث عن ابن عباس وأنس[٣]،ولى عبد الملك أباه يوسف عدة ولايات وبعض الألوية فى الحروب وكذلك فعل الخليفة مع عمه محمد فولاه اليمن [٤] .

---

[١] أى ظفربه أو أخذ . ابن منظور : لسان العرب مادة ثقف .

[٢] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك حـ٦ ص ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ .

(٣) ابن الأثير : الكامل حـ٤ ص ٥٨٥ .

[٤] ابن قتيبة : المعارف ص ٣٩٥ ، ٣٩٦ .

البلخى: البدء والتاريخ حـ٦ ، ص ٢٨ .

ابن خلكان : وفيات الأعيان حـ٢ ص ٢٩

بدأ الحجاج أولى خطواته فى طريق الشهرة عندما لحق روح ابن زنباع " الجذامى وزير عبد الملك بن مروان فكان فى عديد شرطته إلى أن رأى عبد الملك انحلال عسكره وأن الناس لا يرحلون برحيله ولا ينزلون بنزوله فشكا ذلك إلى روح بن زنباع فقال له : إن فى شرطتى رجلاً لو قلّده أمير المؤمنين أمر عسكره لأرحل الناسَ برحيله وأنزلهم بنزوله يقال له الحجاج بن يوسف ، قال : فإنا قد قلدناه ذلك ، فكان لا يقدر أن يتخَلّفَ عن الرحيل والنزول إلا أعوان روح بن زنباع ، فوقف عليهم يوماً وقد أرحل الناس وهم على طعام يأكلون فقال لهم : ما منعكم أن ترحلوا برحيل أمير المؤمنين ؟ قالوا له : أنزل يا ابن اللَّخَنَاء فكل معنا ، قال لهم : هيهات ، ذهب ما هنا لك ، ثم أمر بهم فجلدوا بالسياط وطوفهم فى العسكر وأمر بفساطيط روح فأحرقت بالنار ، فدخل روح على عبد الملك باكياً وقال يا أمير المؤمنين ، إن الحجاج الذى كان فى شرطتى ضرب غلمانى وأحرق فساطيطى ، قال على به ، فلما دخل عليه قال له : ما حملك على ما فعلت ؟ قال : أنا ما فعلتُ قال : ومن فعل ؟ قال أنت فعلت ،إنما يدى يدك ، وسوطى سوطك ، وما على أمير المؤمنين أن يخلف لروح عوض الفسطاط فسطاطين ، وعوض الغلام غلامين ، ولا يكسرنى فيما قدمنى له [1]

---

[1] ابن عبد ربه : العقد الفريد حـ٥ ص ١٣ ، ١٤ .

ابن خلكان : وفيات الأعيان حـ٢ ص ٣٠ ، ٣١ .

راق عبد الملك ما صنعه الحجاج فولاه تبالة [١] فلما رآها احتقرها وانصرف ، فقيل فى المثل أهون من تبالة على الحجاج ثم ولاة عبد الملك الحرمين بعد قتله لعبد الله بن الزبير فى مكة[٢]

ولقد اختلف المؤرخون حول ما إذا كان الحجاج جاءته ولاية العراق فجأة وهو بالمدينة أم أنه طلبها حين عرضها عبد الملك على جلسائه.

فمن الأول ما ذكره الطبرى أن الحجَّاج بن يوسف خرج من المدينة حين أتاه كتاب عبد الملك بن مروانَ بولاية العراق بعد وفاة "بشر بن مَرْوان" فى إثنى عشر راكباً على النجائب حتى دخل الكوفة حين أنتَشَر النهار فجاءة [٣]

ومن الثانى ما روى أن عبد الملك لما علم باضطراب الأحوال فى العراق عرض ذلك على جلسائه فلما فرغ من وصف أحوال البلاد وصفاً دقيقاً قال لهم من للعراق فقد أطرقت الليوث ، ولست أرى أسداً" يقصد نحو فريسته. فسكت الناس ، فقام "الحجاج بن يوسف الثقفى" فقال : أنا للعراق يا أمير المؤمنين ، قال : ومن أنت ؟ قال : أنا الحجاج بن يوسف معدن العفو والبوار ، قال : أجلس فلست هناك ، ثم أطرق ملياً فقال من للعراق فقد قوى الضعيف ، وخضع الشديد ، فقال الحجاج : أنا للعراق يا أمير المؤمنين فقال : يا بن يوسف ، لكل

---

[١] بالفتح بلدة مشهورة من أرض تهامة فى طريق اليمن . يا قوت : معجم البلدان حـ٢ ص ٤٢٨ .

[٢] ابن قتيبة : المعارف ص ٣٩٦.

[٣] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ٢٠٢.

أمر آلة وقلائد ،فما آلتك وقلائدك ؟ قال : القتل والعفو ، والمكاشفة والمداراة ، والخوف والرفق ، والعجلة والريث ، والإبراق والتبسم والإرعاد والتنفس ... ألخ.

فولاة عبد الملك العراق جميعه وأطلق يده في الكراع والسلاح والرجال فدخل الكوفة مستخفياً حتى صعد منبر مسجدها. [١]

إن من يمعن النظر فيما سبق يجد الرواية الأولى راجحة والثانية مرجوحة لأن رواية ابن الجوزى تحمل بين ألفاظها ما يوهنها فلا يعقل أن يسأل عبد الملك قائده الأشهر " من أنت" وهو الذى وقف الموقف القوى من أتباع "روح بن زنباع" ووطدله الأمر بالحرمين فرجل هذا شأنه لا يجهله خليفة مجرب عالم ببواطن الرجال مثل عبد الملك ، ومن ثَمَّ فإن الذى يتفق مع واقع الأحداث هو أن عبد الملك اختار الحجاج للعراق لما رآه من تفوق ظاهر لهذا القائد فى مكة ثم المدينة.

وعلى كل حال فإن الحجاج بن يوسف ألقى فى الكوفيين خطبة" بين لهم فيها أن أمير المؤمنين ما اختاره إلا بعد ما رآه كفئاً لهذه الولاية وأقسم لهم لينزلن بالخارجين منهم عظيم العقاب الا أن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان كب كنانته فعجم عيدانَها فوجدنى أصلبها عُوداً ، فوجهنى إليكم ، فإنكم طالما سَعْيتم فى الضَلالة وسَنَنتُم سنن البغى .... أما والله إنى لأحمل الشر بثقله

---

[١] ابن اعثم : الفتوح جـ ٧ ص ١،٢،٣
ابن الجوزى : المنتظم جـ ٤ ص ٣٠٢،٣٠٣،٣٠٤.

وأحذوه بنعله وأجزيه بمثله ، أما والله إنى لأرى رؤساً قد أينعت وحان قطافها ، وكأنى أرى الدماء بين العمائم واللحى تترقرق.(١)

ولما فرغ الحجاج من خطبته لم يفه أحد ممن كان بالمسجد وفيهم أهل الشرف والرياسة بكلمة يعترض فيها على قوارص كلمة وشديد زهوه بنفسه أو يظهر استياءه لما لحق أهل بلده من مذلة وما لحق بهم من مهانة.

ومن هذه الخطبة نتبين السياسة التى رسمها الحجاج للسير عليها مع أهل العراق وهى سياسة حزم ممزوج بالظلم والجبروت ولا غرو فقد أخذ الناس بغير هوادة وقتلهم على الريبة والظنة(٢).

أما البصرة فإن الحجاج وهو بالكوفة أرسل إليها الحكم بن أيوب الثقفى وأمره أن يشتد على خالد بن عبدالله فلما بلغ خالداً الخبر خرج من البصرة قبل أن يدخلها الحكم فنزل الجلحاء وشيعه أهل البصرة فلم يبرح مصلاه حتى قسم فيهم ألف ألف درهم(٣).

ولقد أحسن الحجاج فى اختياره لهذا القائد الثقفى فإنه أمّن له المصر قبل قدومه إليه فقد تصدى لداود بن النعمان أحد بنى مازن بن عبد

---

(١)الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ٢٠٣،٢٠٤، ٢٠٥.

ابن الجوزى : المنتظم جـ ٤ ص ٣٠٥،٣٠٦،٣٠٧.

ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ ٥ ص ١٧،١٨.

(٢)حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام جـ ١ ص ٣٠١،٣٠٢.

(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ٢٠٩.

ابن الجوزى : المنتظم جـ ٤ ص ٣٠٩.

ابن خلدون : تاريخه جـ ٣ ص ٥٤.

القيس الذى قدم البصرة من البحرين يريد إثارة التمرد بها فى وجه السلطة الحاكمة فأرسل إليه "الحكم" "عباد بن حصين" فقضى عليه قبل أن يستغلظ عوده[١] فلما قدم الحجاج البصرة فعل بها نظير ما فعل بالكوفة فألقى فى أهلها خطبةً توعدهم فيها مثل وعيده للكوفيين، ، وقتل أمام أهلها رجلاً من بنى يشكر مثلما فعل بالكوفة عندما قتل ابن ضابئ فتملك أهل البصرة الفزع[٢] من واليهم الجديد بعد ما شاهدوا بأعينهم شدته فيهم تلك التى ترامت إلى أسماعهم عن طريق الكوفيين القادمين إليها وتمنوا الخلاص منه.

ولقد بدا هذا جلياً فى موقف الجارود بن عبد الله العبدى من الحجاج حين خطب البصريين مخبراً إياهم رغبته فى نقصان أعطياتهم فقال : إنّ الزيادة التى زادكم ابنُ الزبير فى أعطياتكم زيادة فاسق منافق ، ولستُ أجيزُها فقام إليه عبدُ الله بن الجارود العبْدى فقال: إنها ليست بزيادة فاسق منافق ، ولكنها زيادة أمير المؤمنين "عبدالملك" قد أثبتها لنا . فكذبه وتوعده[٣].

تسببت هذه المواجهة بين ابن الجارود وأميره الحجاج فى نشوب ثورة بالبصرة كادت تفضى إلى القضاء على ولايته ولمّا يمض عليها سوى وقت يسير لا يجاوز بضعة أشهر ذلك أن ابن الجارود لقى

---

[١] خليفة بن خياط : تاريخه ص ٢٧٢.

اليعقوبى : تاريخه ص ٢٧٥.

ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٩ ص ١٠.

[٢] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ٢١٠.

[٣] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ص٢١١.

وجهاء البصرة بعد الذى كان من وعيد الحجاج له فوعدوه النصـرة وقالوا : نحن معك وأعوانك إن هذا الرجل غير كافٍّ حتـي ينقصنـا هذه الزيادة ، فهلم نبايعك على اخراجه من العراق ثم نكتب إلى عبـد الملك نسأله أن يولى علينا غيره فإن أبى خلعناه ، فإنه هائب لنا مـا دامت الخوارج فبايعه الناس سراً وأعطوه المواثيق على الوفاء وأخذ بعضهم العهود على بعضهم.

فلما وقف الحجّاج على أمر ابن الجارود وأتباعه أخذ حـذره فـأحرز بيت مال المصر فلما خرج ابن الجارود بالبصريين عليه فـى ربيـع الآخر سنة ست وسبعين ؛ وجد الحجّاج نفسه فى موقف بالغ الحـرج ؛ إذ لم يبق معه إلا النزر اليسير من الرجال . أما السواد الأعظم مـن البصريين فقد التفوا حول ابن الجارود فقطعوا الجسر فأرسل الحجـاج رسولاً إلى ابن الجارود برسالة فيها : أتطيب نفساً بقتلك وقتل أهـل بيتك وعشيرتك؟ والذى نفسى بيده لئن لم تأتنى لأدعن قومك عامـة وأهلك خاصة حديثاً للغابرين.

لم تحقق هذه الرسالة للحجاج مرتجاه ، فإن ابن الجـارود ظـل على موقفه من الثورة عليه فزحف بأتباعه نحوه ، وأخذ أتباع ابـن الجارود زوجتى الوالى الذى شاور صاحب شرطته بالبصرة زياد ابـن عمرو العتكى وعثمان بن قَطَن فى كيفية مواجهة هذا الموقف الصعب الذى ألم به فقال له : زياد أنا آخذ لك من القوم أماناً وتخـرج حتـى تلحق بأمير المؤمنين فقد ارفض أكثر الناس عنك ولا أرى لـك أن تقاتل بمن معك فقال عثمان بن قَطن لكنـي لا أرى ذلـك إن أمـير المؤمنين قد شركك في أمرك وخلطك بنفسـه واسـتنصحك وسلّطك

فسرت إلى ابن الزبير ، وهم أعظم الناس خطراً فقتلته ، فـولاك الله شرف ذلك وسناه ، وولاك أمير المؤمنين الحجاز ، ثم رفعت فـولاك العراقين ، فحيث جريت إلى المدى وأصبت الغرض الأقصى تخرج على قعود إلى الشام والله لئن فعلت لا نلت من عبدالملك مثل الـذى أنت فيه من سلطان أبداً وليتضعن شـأنك ، ولكنـى أرى أن نمشـى بسيوفنا معك فنقاتل حتى نلقى ظفراً أو نمـوت كرامـاً . فقـال لـه الحجاج:الرأى ما رأيت وحفظ هـذا لعثمـان وحقدهـا علـى زيـاد ابن عمرو.

ولما اشتد الأمر على الحجاج أرسل إلى بعض رؤسـاء العشـائر بالبصرة يطلب الأمان فلم يستجب إليه واحد منهم وأخذ يتظاهر أمـام جند ابن الجارود بالتهديد والوعيد حتى يسمعه أتباع جند ابن الجارود كى لا يزدادوا طمعاً فيه.

ولقد أخفق ابن الجارود فى تحقيق الهدف المرتجى من ثورتـه تلك عندما لم يأخذ برأى أحد أتباعه وهو يرى الحجاج.

وقد أخذ بعض البصريين ينضمون إليه رويداً رويداً فقـال لـه : تعش بالجدى قبل أن يتغدى بك ، أما ترى من قد أتاه منكـم ؟ ولئـن أصبح ليكثرن ناصره ولتضعفن منتكم فقال : قد قرب المساء ولكنـا نعاجله بالغداة.

وثمت سبب آخر يعزى إليه اخفاق ثورة ابن الجارود فى تحقيـق أهدافها هو ذلك الإنقسام الذى وقع فى معسكر هذا القـائد البصـرى فإنه حين مر به "عباد بن الحصين الحبطى" وجده فى خاصـة رجالـه

وهم يتناجون ، فقال أشركونا فى نجواكم . فقالوا هيهات أن يدخل فى نجوانا أحد من بنى الحبط! فغضب وسار إلى الحجاج فى مائة رجل فأبدى ترحيباً شديداً به وقال له : ما أبالى من بعدك.

شجع هذا الموقف الذى وقفه عباد بن الحصين من ابن الجارود كثيراً من رؤساء العشائر البصريين على الانضمام للحجاج فأخذوا رويداً رويداً ينفضون عن "ابن الجارود"[١] وينضمون إلى الحجاج فزحف على الثوار بستة آلاف رجل من البصريين فاشتبكوا معهم فى معركة انجلت عن قتل ابن الجارود وانفضاض الناس عنه فساروا هنا و هناك ونادى الحجاج فيهم بالأمان فأمنوا على أنفسهم وأموالهم[٢] وبذلك ينجح الحجاج فى التغلب على أول عقبة كؤود صادفته بعد قدومه إلى البصرة.

وبعد القضاء على هذه الثورة التى قام بها البصريون على الحجاج أمكنه التصدى لخطر الأزارقة فنجح فى ذلك نجاحاً فاق به الولاة السابقين عليه بالبصرة[٣].

فإنه ظل يمد المهلب بالرجال من الكوفة والبصرة من سنة ست وسبعين إلى سنة ثمان وسبعين للهجرة إلى أن استطاع تأمين

---

[١] ابن الأثير : الكامل جـ ٤ ص ٣٨٣،٣٨٤.
ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٩ ص ٩،١٠.
ابن خلدون : تاريخه جـ ٣ ص ٥٤،٥٥.

(٢) ابن الأثير : الكامل جـ ٤ص ٣٨٤،٣٨٥.
ابن الجوزى : المنتظم جـ ٤ ص ٣١٠.

[٣] فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ص ٢٢١.

البصرة والمناطق التابعة لولايته من خطر هؤلاء الأزارقة وإن لم يتمكن من استئصال شأفتهم بالكلية.[١]

ولم يكن هذا بالأمر الهين فإن الخوارج أرهقوا البصريين وولاتهم من أمرهم عسراً فكانوا يقاتلون على الشئ الحقير إذا ضاع منهم قتالهم على الشئ العظيم يرونه فى ملاحقتهم لأعدائهم كما زعموا وموتهم فى سبيل ذلك نعمةً لا تداينها نعمة ، فكان الواحد منهم إذا أصيب بسهم أو طعن برمح يسعى إلى قاتله ويقول عَجِلْتُ إليك ربِّ لترضى[٢].

ما كاد الحجاج بن يوسف الثقفى يستريح من ثورة ابن الجارود حتى قامت فى وجهه بعد وقت قليل ثورة أشد من سابقتها تلك التى تزعمها ابن الأشعث.

ثورة ابن الأشعث

كان عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندى الكوفى[٣] من الذين استرعوا أنظار معاونى الحجاج بالبصرة إليهم ، فحين أراد الحجاج اختيار رجل يعهد إليه بشرطته هناك ذكر له كاتبه عبد الرحمن بن الأشعث الذى وجد هذا المنصب أقل من طموحاته التى منّى نفسه بها فقد (روى الشعبى أن ابن الأشعث قال له حين جاءه

---

[١] ابن الأثير : الكامل جـ ٤ ص ٣٨٨.
ابن خلدون : تاريخه جـ ٣ ص ٥٦، ٥٧.
[٢] ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ ١ ص ٢١٩، ٢٢٣.
[٣] الذهبى : سير أعلام النبلاء جـ ٥ ص ١٩١.
ابن حجر : تهذيب التهذيب جـ ٦ ص ٢٥٦.

يبشره بموافقة الحجاج على ترشيح الكاتب له) (ومثلى يتقلد سيفا ويمشى بين يدى ابن أبى رغال ! والله ما رأيت أحداً قط على منبر يخطب إلا وظننت فى نفسى أنى أحق بذلك منه ! قال فقلت له : دع عنك هذا ، فإن الحجاج ليس ممن يعادى ولا ينابح ، فلا تسأله عن نفسك ! فتبينت الكراهة فى وجهه)[١]ثم ركب وركبت معه إلى عنبسه ابن سعيد كاتب الحجاج ، فلما دخلنا عليه قلت : أصلحك الله ! إنى قد أخبرت أبا الأشعث بما كان من برك وعنايتك ورأيك فكره ذلك ! فقال عنبسه : ولم ذلك ؟ قال ابن الأشعث لأنه لا حاجة لى فى ولاية الشرطة . قال الشعبى فسكت عنبسه ، فقلت له : جعلت فداك ! تدارك إصلاح ذلك ، فقال : أفعل ذلك . ثم ركب إلى الحجاج فلما دخل وأخذ مجلسه جعل يتناعس فى المجلس ، فقال له الحجاج : ما قصتك ؟ فقال : أصلح الله الأمير ! إنى إمتنعت اليوم من القائلة ، قال الحجاج: ولم ذلك ؟ قال : لأنى أشرت على الأمير أصلحه الله بعبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث ، وهو رجل شريف شديد الحياء من الناس،وأخاف عليه الشفاعات قال الحجاج : فلا حاجة لى فيه ولكن دلونى على رجل يصلح لهذا الأمر ! فعين آخر على شرطته.[٢]

ولقد استعان الحجاج بابن الأشعث بعد ذلك فى التصدى للخوارج غير أنه لم يحدث بينهم وبين ابن الأشعث قتال مما يدلك على أن الرجل كان محط أنظار الوالى ومعاونيه ولولا ذلك ما سيره الحجاج لقتال الخوارج خلفاً لزائدة بن قدامة الذى قتل على أيديهم.

---

[١] ابن اعثم : الفتوح جـ ٧ ص ١٠٩، ١١٠.

[٢] ابن اعثم : الفتوح جـ ٧ ص ١١٠.

ولما فرغ الحجاج من تخضيض شوكة الخوارج كما سبقت الإشارة إليه عقد العزم على وضع حد للتجاوزات التى يرتكبها رتبيل ملك الترك من منعه للجزية غير مرة فسير لهم الحجاج جيوشاً بقيادة ابن أبى بكرة الذى هزم على يد رتُبيل بخديعة خدع بها المسلمين فكتب الحجاج إلى عبد الملك يخبره بهزيمة الجيش ويستأذنه فى توجيه جيش آخر إلى تلك البلاد حتى لايزداد طمع أعداء الدولة فى المسلمين المقيمين بالعراق.(١)

ولقد جاء كتاب عبد الملك موافقاً لما أرتآه الحجاج فى ضرورة التصدى للخارجين بقيادة رتبيل فأزمع الحجاج تجهيز جيش غير مسبوق فى عدده وعتاده ليبعث به إلى هذه الوجهة وجعل عليه عبد الرحمن بن الأشعث وهو من أهل الكوفة على الرغم من أن الطبرى وغيره ذكروا فى روايات لهم أن الحجاج كان يبغض هذا الرجل فإنه كان يقول عنه : ما رأيته قط إلا أردت قتله ، وسمع الشعبى ذلك من الحجاج ذات يوم فأخبر عبد الرحمن به ، فقال : والله لأحاولن أن أزيل الحجاج عن سلطانه . فلما أراد الحجاج أن يبعث عبد الرحمن على ذلك الجيش أتاه إسماعيل بن الأشعث فقال له : لا تبعثه فوالله ما جاز جسر الفرات فرأى لوالٍ عليه طاعة وإنى أخاف خلافة ، فقال

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ٣٢٣،٣٢٤.
ابن أعثم : الفتوح جـ ٧ ص ١١٢،١١٣.
فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ص ٢٢٣.
عبد الشافى عبداللطيف: العالم الإسلامى فى العصر الأموى ص ٥٠٧،٥٠٨.

الحجاج : هو أهيب لى من أن يخالف أمرى وسيّرة على ذلك الجيش.[١]

ولا يدرى المرء سبباً يجعل الحجاج يبعث به على رأس جيش الطواويس مع بغضه له اللهم إلا أن يكون الحجاج قد رأى كفاءة في ابن الأشعث فنحى بغضه جانباً وآثر عليه صالح البلاد.

وعلى كل حال فإن ابن الأشعث خرج على رأس هذا الجيش الجرار فوصل إلى بلاد "رتبيل" فخاض أولى معاركه بهذه البلاد فأرسل إليه ملكها "رتبيل" يسأله الصلح فأبى ابن الأشعث إلا المضى قدماً وطفق كلما حاز بلدا من بلاد هذا الملك عين عليها العمال ثم حبس ابن الأشعث أتباعه عن الوُغول فى أرض "رُتّبيل" وقال نكتفى بما أصبْناه العام من بلادهم حتى نجبيها ونعرفها، وتجترىء المسلمون على طُرقها ثم نتعاطى فى العام المقبل ما وراءها[٢].

وكتب ابن الأشعث بذلك الرأى إلى الحجاج فلما وقف عليه والى العراق سفه رأى قائده ابن الأشعث فى رسائل ثلاث انتهى فيها إلى تهديده بالخلع واستبدال اسحاق بن الأشعث به.

---

[١] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ٣٢٦، ٣٢٧. ٣٢٩.

ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٩ ص ٣٥.

ابن الأثير : الكامل جـ ٤ ص ٤٥٤،٤٥٥.

[٢] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ٣٢٩.

ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٩ ص ٣٢.

هنا دعا عبد الرحمن الناس وقال أيّها الناس إنى لكم ناصح ولصلاحكم محبّ ولكم فى كل ما يحيط بكم نفعه ناظرٌ ، وقد كان رأيى فيما بينى وبين عدوّى بما رضيه ذوو أحلامكم وأولو التجربة منكم ، وكتبت بذلك إلى أميركم الحجّاج فأتانى كتابه يعجزّنى ويضعّفنى ويأمرنى بتعجيل الوغول بكم فى أرض العدّو وهى البلاد التى هلك فيها اخوانكم بالأمّس ، وإنما أنا رجل منكم أمضى إذا مضيتم وآبّى إذا أبيتم.

فثار إليه الناس وقالوا : بل نأبَى على عدّو الله ولا نسمع له ولا نطيع . وأنشأ غير واحد من وجهاء الجيش يقولون أقوالاً فى الجموع المحتشدة دعوا فيها الناس إلى خلع الحجاج ومؤازرة ابن الأشعث فمنهم من قال : اخلعوا عدوّ الله الحجاج وبايعوا الأمير عبد الرحمن ، فإنّى أشهدكم أنّى أوّل خالع ومنهم من قال : بايعوا أميركم وأنصرفوا إلى عدّوكم الحجاج فانفوه عن بلادكم . فوثب الناس إلى عبد الرحمن فبايعوه على خلع الحجاج ونفيه من أرض العراق وعلى النّصرةُ له.(١)

وكان نص البيعة (تبايعون على كتاب الله وسنة نبيه وخلع أئمة الضلالة وجهادِ المحِلّين ، فإذا قالوا نعم بايعَ)(٢)

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ٣٣٤،٣٣٥،٣٣٦.

ابن الأثير : الكامل جـ ٤ ص ٤٦١،٤٦٢،٤٦٣.

ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٩ ص ٣٥.

ابن خلدون : تاريخه جـ ٣ ص ٦١.

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ٣٣٨.

وأنشأ ابن الأشعث بعد هذا الموقف يرسل من قبله عمالاً يجبون أموال الخراج من الأهواز والمناطق المحيطة بها حتى يتقوى بذلك قبل توجهه المرتقب إلى البصرة[١] رفع الحجاج خبر هذا التمرد إلى الخليفة عبد الملك بن مروان وسأله أن يمده بالجنود حتى يتصدى له وانتقل إلى البصرة ليحميها من خطر ابن الأشعث الذى استعد لهذه المواجهة فراسل المهلب بن أبى صفره ليساعده فى ثورته على الحجاج[٢]فكتب إليه المهلب كتاباً نصحه فيه بلزوم الطاعة والبقاء فى الجماعة حقناً لدماء المسلمين وكتب المهلب إلى الحجاج كتاباً آخر ضمنه تجربته مع أهل العراق فقال له : (إنّ لأهل العراق شَدَّةً فى أول مخرجهم ، وصبَابة إلى أبنائهم ونسائهم ، فليس شىء يردّهم حتى يسقطوا إلى أهليهم ، ويشمّوا أولادهم ، ثمّ واقِفهم عندها

فإن الله ناصرك عليهم إن شاء الله) .

فلما قرأ كتابه قال : (فَعَلَ الله به وفَعل ، لا والله مالى نَظَر ولكن لابن عمه نَصَح) [٣] أخذ عبد الملك يشخص جموع الشاميين إلى الحجاج بالبصرة فخرج منها يريد لقاء ابن الأشعث قبل دخوله

---

[١]ابن اعثم : الفتوح جـ ٧ ص ١٢٩.

[٢] خليفة بن خياط : تاريخه ص ٢٧٩.

ابن كثير : البداية والنهاية جـ٩ ص ٣١.

[٣] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٦ صـ٣٣٩

ابن اعثم : الفتوح جـ٧ صـ١١٨ ، ١١٩ .

عبد الشافى عبد اللطيف:العالم الإسلامى فى العهد الأموى صـ ٥١٣ ، ١٤

إياها غير أن جيوشه منيت بالهزيمة على يد أتبـــاع ابـن الأشـعث فلاحق العراقيون فلول جنده يقتلون ويأسرون ويغنمون الأمتعة حتـى دخلوا البصرة التى تركها الحجاج وخطب ابن الأشعث أهلها قـــائلاً : (أما الحجّاج فليس بشئ ، ولكنا نريد غزو عبد الملك) .

وأقبل أهل البصرة على ابن الأشعث فـى ذى الحجـة سـنة إحدى وثمانين [١] فبايعوه ولا سيما قراؤهم ,

وكان السبب فى سرعة إجابتهم إلى بيعته أنّ عمال الحجّـاج كتبوا إليه : إنّ الخراج قد انكسر وإن أهل الذمّة قد أسلموا ولحقـوا بالأمصار . فكتب إلى البصرة وغيرها : إنّ مَنْ كان له أصل من قرية فليخرْج إليها ، فأخرج الناس لتؤخذ منهم الجزية ، فجعلـوا يبكـون وينادون يا محمّداه يا محمّداه ! ولا يدرون أين يذهبون ، وجعل قـرّاء البصرة يبكون لما يرون ومن ثَمَّ بادروا إلى مبايعة ابن الأشعث علـى خلع الحجاج وعبد الملك [٢].

لم تكن هذه المعركة التى دخل إثرها ابن الأشـعث البصـرة حاسمةً للصراع بينه وبين الحجاج فإن جيوش الرجلين التقـت عنـد

---

[١] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ صـ ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢.
ابن كثير البداية والنهاية جـ٩ صـ ٣٦ ، ٣٧ .

[٢] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ صـ ٣٨١
ابن الأثير : الكامل جـ٤ ٤٦٥
فلهوزن : تاريخ الدولة العربية صـ ٢٢٦ .

الزاوية [١] فى معركة تمكن فيها الحجاج بعد لأىٍ من هزيمة ابن الأشعث[٢] الذى سار إلى الكوفة .

وهنا يرى القارئ أهل البصرة يريدون تدارك أمرهم ، وتثبيت سلطانهم بعد هزيمة ابن الأشعث فوثبوا إلى عبد الرحمن بن عباس ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فبايعوه ، فقاتل بهم خمس ليال الحجاج أشد قتال رآه الناس ، ثم انصرف فلحق بابن الأشعث وتبعه طائفة من أهل البصرة [٣] .

وبعد أن استقامت البصرة للحجاج خرج منها يريد الكوفة التى بايع أهلها ابن الأشعث على خلع عبد الملك بن مروان والحجاج ، وتفاقم الأمر وكثر متابعوا ابن الأشعث على ذلك واشتد الحال وتفرقت الكلمة جداً وعظم الخطب واتسع الخرق على الراقع .

فقد وقعت عند أرض الكوفة موقعةٌ كبيرةٌ بين الحجاج وابن الأشعث فى دير الجماجم[٤] تلك التى استمرت مائة يوم كان فيها الفريقان يخرجان عند مطلع كل شمس لخوض الحرب فما يعودون إلا

---

[١] موضع قرب البصرة
ياقوت : معجم البلدان جـ٤ صـ٤٦٦
[٢] خليفة بن خياط : تاريخه صـ٢٨١ /الطبرى:تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص٣٤٢، ٣٤٣.
اليعقوبى تاريخه جـ٢ صـ٢٧٨
(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ صـ ٣٤٣
ابن الجوزى: المنتظم جـ٤ ص٣٧١.
ابن خلدون: تاريخه جـ٣ ص٦٢.
[٤] بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها على طرف البر للسالك إلى البصرة .
ياقوت : معجم البلدان جـ٤ صـ٣٣٨

عند الغروب وقد تكسرت السيوف فكان يؤازر ابن الأشعث فيها مائة ألف من أهل العراق ومثلهم من مواليهم[١] .

أما الحجاج فقد آزره جند الشام ونزل عند دير قرة [٢] وقال ما بهذا المنزل بُعدٌ من أمير المؤمنين ، وإنّ الفلاليج [٣]وعين التمر[٤] إلى جَنبنا فنزل فكان فى عسكره مخندقاً وابن محمد كذلك .

فكان كل يوم من الأيام المذكورة يمضى عليها يزيد فى قرب المعسكرين من بعضهما وهم يتصارعون بالسيوف ، فلما بلغ عبد الملك ذلك أراد[٥] أن يجنب دولته هذه الحرب الداخلية التى تحصد أرواح الألوف من الناس ، وتطمع الأعداء فى أمة الإسلام .

ومن ثَمّ استجاب الخليفة لنصائحه حين قالوا له فى شأن ابن الأشعث وخلافه إن كان إنما يرضى أهل العراق أن يُنزع عنهم الحجاج فانزعه تحقن به الدماء ، فإن نزعه أيسر من حربهم ، فأخذ عبد الملك برأى نصحائه وقرر الكتابة إلى ابن الأشعث بذلك لعله

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٦ صـ٣٤٧
ابن الجوزى : المنتظم جـ٤ صـ٣٧١،٣٧٢
عبد الشافى عبد اللطيف : العالم الإسلامى فى العصر الأموى صـ٥١٥

(٢) موضع ملاصق لدير الجماجم من طرف البر مما يلى الكوفة .
ياقوت : معجم البلدان جـ٤ صـ٣٥٥

(٣) بالفتح وهى قرى السواد .
ياقوت : معجم البلدان جـ٦ صـ٤٤١

(٤) بلدة قريبة من الأنبار غربى الكوفة
ياقوت : معجم البلدان جـ٦ صـ٣٦٩

(٥) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٦ صـ٣٤٧

يدرك بقلمه ما يغنى أتباعه عن استخدام الحسام فلما بلغ ذلك الحجاج كتب إلى عبد الملك كتابا حاول فيه الحيلولة دون ظهور هذا الرأى إلى النور معتمداً على ما لأهل العراق من ماضٍ أليمٍ مع قادتهم فقوم هذه حالهم لا تجدى سياسة اللين معهم نفعاً (يا أمير المؤمنين ، والله لئن أعطيت أهل العراق ترعى فإنهم لا يلبثون إلا قليلاً حتى يخالفوك ويسيروا إليك ، ولا يزيدهم ذلك إلا جرأة عليك ، ألم تر وتسمع بوثوب أهل العراق مع الأشتر على عثمان بن عفان ، فلما سألهم ما تريدون ، قالوا : نزع سعيد بن العاص ، فلما نزعه لم تقم لهم قائمة حتى ساروا إليه فقتلوه ، إن الحديد بالحديد يقرع ، خار الله لك فيما ارتأيت)[1] فأبىّ عبد الملك الأخذ برأيه ووصل رسول الخليفة إلى أهل العراق بكتاب من عبد الملك إليهم فيه : (إن كان يُرضيكم منى عزل الحجاج عنكم عزلته عنكم ، وبعثت عليكم أعطياتكم مثل أهل الشام ، وليختر ابن الأشعث أى بلد شاء يكون عليه أميراً ما عاش وعشت وتكون إمرة العراق لمحمد بن مروان ، وقال فى عهده هذا : فإن لم تجب أهل العراق إلى ذلك فالحجاج على ما هو عليه وإليه إمرة الحرب ، ومحمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك فى طاعة الحجاج ، وتحت أمره لا يخرجون عن رأيه فى الحرب وغيره)[2]

---

(١) ابن الجوزى: المنتظم جـ٤ص٣٧٢

الخضرى: محاضرات فى تاريخ الدولة الأموية ص٤٨٢

(٢) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص٣٤٧، ٣٤٨

ابن اعثم : الفتوح جـ٧ ص ١٣٧

ابن كثير: البداية والنهاية جـ٩ ص ٤١

فلما وقف أهل العراق على ما فى كتاب الخليفة اجتمعوا إلى ابن الأشعث ليسمعوا رأيه فيما عرضه الخليفة عليهم ، فحمد الله تعالى ثم قال : أما بعد فاقبلوا ما عَرضوا عليكم وأنتم أعزّاءُ أقوياءُ والقومُ لكم هائبون .

فوثب الناس من كل جانب فقالوا : إن الله عز وجل قد أهلكهم ، فأصبحوا فى الضنك والمجاعة والقلة والذلة ، ونحن ذوو العَددَ الكثير ، والمادّة القريبة ، لا والله لا نقبل وأعادوا خلعه ثانية ، فرجع محمد بن مروان ، وعبد الله إلى الحجاج فقالا : شأنَكَ بعسكرك وجندك فاعمل برأيك ، فإنا قد أمْرنا أن نسَمع ونطيع ، وخلّيَاه والحرب.[1]

وعلى كل حال فإنه بعد إخفاق مساعى عبد الملك السلمية فى تجنب إراقة الدماء استمر الحجاج على رأس جيشه يخوض حرب دير الجماجم ضد ابن الأشعث[2] .

حتى إذا كان آخر يوم من أيام القتال قاتل أهل العراق أحسن قتال إذ خرج سفيان بن الأبرد الكلبى من قبل ميمنة جيش الحجاج حتى دنا من الأبرد بن قرة التميمى ، وهو على ميسرة جيش ابن

---

(١)الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص ٣٤٩

ابن الجوزى : المنتظم جـ٤ ص٣٧٢ ، ٣٧٣ .

(٢) يمكن للقارئ الكريم إن هو أراد الوقوف علي تفاصيل صور المبارزة وأحداث معركة دير الجماجم مطالعة تاريخ الطبرى جـ٦ ص٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤. ابن كثير : البداية والنهاية جـ٩ ص ٤٢، ٥٠

الأشعث فما قاتله كبير قتال حتى انهزم ، وكان شجاعاً ولم يكن الفرار له بعادة ، فظن الناس أنه قد كان أُعطِى له الأمان وقد صولح على أن ينهزم بالناس ، وأثار ذلك ريبة الخيانة ، وأحدث ذعراً بين الجند فتقوضت الصفوف من نحوه ، وركب الناس وجوههم وأخذوا فى كل وقت هاربين ولم يستطع ابن الأشعث أن يوقف فرارهم وفر[١] هو أيضا[٢] فوصل بيته[٣] وعليه السلاح ، وهو على فرسه لم يَنزل عنه ، فخرجتْ إليه ابنتهُ فالتزمها وخرج إليه أهلهُ يبكون فأوصاهم بوصّية وقال : لا تبكوُا ، أرأيتم إن لم أترككْم كم عسّيتُ أن أبقَى معكم حتى أموت ! وإن أنا مِتّ فإن الذى رَزقَكم الآن حىٌّ لا يموت وسيَرزْقكم بعدَ وَفاتى كما رَزقكم فى حياتى ، ثم ودع أهله وخرج من الكوفة[٤] هائماً على وجهه فى صحبة ثلة من الأتباع حتى وصل إلى بلاد رُتبيل ملك الترك.[٥]

---

(١) ما طالعة القارئ الكريم من أخبار معارك ابن الأشعث ضد الدولة الأموية لا يتضمن كل المواقع التى خاضها هذا الثائر ضد والى العراق فإنه حارب الحجاج فى أربع وثمانين موقعة كانت له الغلبه فيها جميعاً خلا موقعة دير الجماجم التى وقف القارئ علي بعض أخبارها هنا

خليفه بن خياط : تاريخه ص ٢٨٥

اليافعى : مرآة الجنان جـ١ ص ١٣٠

الذهبى العبر جـ١ ص ٦٨

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص ٣٦٣

ابن كثير : البداية والنهاية جـ٩ ص٤٧

فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ص ٢٣٠

(٣) ابن اعثم الكوفى : الفتوح جـ ٧ ص ١٤٠ ، ١٤١

(٤) الطبرى :تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص٣٦٤

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية جـ٩ ص ٤٨،٤٩

فلما وقف الحجاج على مكان ابن الأشعث تتابعت كتبه إلى رتبيل فى عبد الرحمن : أن ابعث به إلىّ ، وإلا والذى لا إله غيره لأوطئن أرضك ألف ألف مقاتل .

وكان مع عبد الرحمن رجل من تميم يقال له عبيد بن سُبَيع ، التميمى وكان رسوله إلى رتبيل فخص برتبيل وخف عليه ، فقال القاسم بن محمّد بن الأشعث لأخيه عبد الرحمن : إنى لا آمن غدر هذا التميّمى فاقتلهْ ، فخافه عبيد ووشى به إلى رتبيل وّخوفه الحّجَاج ودعاه إلى الغدر بابن الأشعث وقال له : أنا آخذ لك من الحجّاج عهداً ليكفّنّ عن أرضك سبع سنين على أن تدفع إليه عبد الرحمن فأجابه إلى ذلك ، فخرج عُبَيد إلى " عمارة بن تميم اللخمى " سّراً وهو ممن آزروا الحجاج فى التصدى لثورة ابن الأشعث وملاحقته بعد فراره من واقعة دير الجماجم[1] فذكر عبيد لعمارة ما استقّر مع رتبيل وما بذل له ، وكتب عُمارة إلى الحّجاج بذلك ، وأجابه إليه أيضاً وبعث رتبيل برأس عبد الرحّمن إلى الحجاج .

وقيل إنّ عبد الرحمن كان قد أصابه السلّ فمات فأرسل رتبيل إليه فقطع رأسه قبل أن يُدفْنَ وأرسله إلى الحّجاج.[2]

---

(١) يمكن للقارئ إن هو أراد الوقوف علي المزيد من أخبار عمارة بن تميم اللخمى مع الحجاج وهو يتصدى لابن الأشعث مراجعة الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص٣٤٩ ، ٣٦٧ ، ٣٧٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٩ ، ٣٩١

(٢)ابن الأثير : الكامل جـ٤ ص٥٠١ ، ٥٠٢

ابن الجوزى : المنتظم حـ٤ ص٣٩٥

ابن خلدون : تاريخه حـ٣ ص٦٦

ومن المؤرخين من خالف ذلك فقال : بعث الحجاج عمارةابـن تميم القينى إلى رتبيل فى أمر ابن الأشعث فصالح رتبيلَ ، وخلى بينه وبين "ابن الأشعث" فأوثقه عمارة وعدة من أهل بيتـه فـى الحديـد وأقبل يريد الحجاج وقد قرن به رجل يكنى " أبا العنز " ، فلما صـار بالرخج[١] طرح نفسه من فوق القصر فماتا جميعاً ، وحمل رأس ابـن الأشعث إلى الحجاج ثم بعث به إلى عبد الملك[٢] ، لما فرغ الحجـاج من حرب ابن الأشعث أنشأ يأخذ البيعة ممن آزروه لعبد الملـك ابـن مروان ولم يكن يقبلها إلا من رجل شهد على نفسه بالكفر ثم التوبـة منه[٣]

وأنشأ الحجاج ينكل بأتباع الثـائر فمنـهم مـن لاذ بـالفرار واحتجب عن الأنظار ومنهم من قبض عليه فألقاه فى غياهب السـجن أو قتله أمثال سعيد بن جبير وإبراهيم التيمى وغيرهما.[٤]

---

(١) بتشديد ثانيه وآخره جيم
كورة ومدينة من نواحى كابل
ياقوت: معجم البلدان حـ٤ ص ٣٩٨
(٢) خليفة بن خياط : تاريخه ص ٢٨٨ ، ٢٨٩
البلخى : البدء والتاريخ ج٦ ص ٣٦
اليعقوبى : تاريخه ح٢ ص ٢٧٩
(٣) خليفه بن خياط : تاريخه ص ٢٨٢
(٤)البلاذرى: فتوح البلدان ق٢ ص٤٣٦
أبو العرب التميمى: المحن ص ٢٠٤، ٢٠٥
ابن عبد ربه: العقد الفريد جـ٥ ص ٥٣،٥٤
أبى الفدا المختصر فى أخبار البشر جـ١ ص٢٧٦
ابن الوردى : تاريخه جـ١ ص١٧٠، ١٧١
ابن كثير: البداية والنهاية جـ٩ ص ٩٦ ، ٩٧

وهكذا نجح الحجاج فى تجنيب ولايته بل الدولة الأموية خطر ثورة كانت ستقضى على سلطان الأمويين فى بلاد العراق وفارس ثم بقية الحواضر ولعل الأسباب التى جعلت الحجاج يحرز هذه الانتصارات تتلخص فيما يلى :-

١-سوء إدارة ابن الأشعث لثورته فإنه حين خرج على الحجاج لم يعمل على تأمين سلطانه بشكل كامل فى المناطق التى حازها بل كان يتعجل إضافة المزيد إليها من ولاية الحجاج دون ضمان لاستقرار حكمه فيها .

٢-طمع أهل العراق فى القائد جعله غير قادر على اتخاذ قرار نابع من ذاته فى القضايا التى عرضت له خلال مدة ثورته فقد رأيته يميل إلى الأخذ بأمان عبد الملك له ولأتباعه ليتحقق للعراقيين ما كانوا يتمنون من إقصاء الحجاج عنهم ولنفسه ما كان يطمح فى الحصول عليه وهو ولاية مصر من الأمصار كى يكون فى مصاف أُولى الأمر فى الولايات الإسلامية ولقد رآه القارئ الكريم يعبر عن هذه الطموحات فى مقولته السابقة للشعبى عندما نقل إليه رأى الحجاج فى ابن الأشعث ، ومع عدم قناعته بموقف أتباعه من أمان عبد الملك فقد مضى معهم حتى كان الذى رأيته من الإخفاق عند دير الجماجم .

٣- همة عبد الملك بن مروان كانت هى الأخرى عاملاً حاسماً فى جعل كفة الصراع تميل إلى صالحه فقد أمد الحجاج بصفوة رجاله ومنهم أخوه محمد بن مروان فكان لوجود هؤلاء الأثر العظيم فى جعل الشاميين والعراقيين الذين آزروهم يصبرون على ندرة

الغذاء وهم يخوضون بعض المعارك ضد ابن الأشعث فى وقت كـان فيه الثوار ينعمون بوفرة الأقوات فكان صبر جند الأمويين سبباً فـى انضمام بعض العراقيين إلى الحجاج لمعاونته فى إحـراز الإنتصـار على الثوار الموالين لابن الأشعث .

مما تقدم يرى القارئ الكريم أن ابن الجارود ثم ابن الأشـعث قد لعبا دوراً عظيماً فى التأثير على مجرى الأحداث بالبصرة وعلـى أهلها ، ولقد شاء الله لهذا المصر بعد رحيلهما أن يتأثر برجل ثـالث كان أعظم أثراً منهما على حياة البصريين بالنظر إلـى أنـه عـاصر أربعة خلفاء أمويين منذ عهد عبد الملك إلى خلافة يزيـد بـن عبـد الملك . ليس هذا فحسب بل إنه يحمل بين جنبيه ميراث أسرة خلـدت اسمها فى التاريخ .

وهذا الرجل هو يزيد بن المهلب بن أبى صفـرة ، ولسـوف تكشف الصفحات التالية للقارئ الأطوار التى مرت بها علاقة يزيد مع من تولوا البصرة وخلفاء الدولة الأموية وما تركه ذلك من آثار علـى أهل البلد .

بين يزيد بن المهلب والحجاج

ولد أبو خالد يزيد بن المهلب بن أبى صفرة الأزدى سنة ثلاث وخمسين للهجرة فى عهد معاوية بن أبى سفيان روى عنه ابنه عبد الرحمن ، وأبو اسحاق السبيعى.[١]

ولقد شب يزيد عن الطوق وهو يرى أباه واخوته يشدون أركان دولة ابن الزبير بتصديهم للخوارج الأزارقة كما سبق ثم أيلولة ذلك إليهم فى عهد عبد الملك بن مروان الذى عرف لهذه الأسرة قدرها فأبقى على الاستعانة بأفرادها وتوليتهم الأعمال ، والذى يدلك على مكانة هذه الأسرة أن الحجاج والى العراق حرص على الأصهار إليها فتزوج " هند " أخت يزيد بن المهلب.[٢]

ليس هذا فحسب بل إن يزيد بن المهلب كان موضع احترام الدانى والقاصى لما عرف عنه من كرم فاق به النظراء وكثيراً من الولاة حتى كان مضرب الأمثال وحديث الألسنة فإن يزيد حين حج

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٦ ص٢٧٨
الذهبى : سير أعلام النبلاء حـ٥ ص٤١٣
عمرو بن عبد الله بن ذى يحمد وقيل عمرو بن عبد الله بن علي الهمدانى الكوفى الحافظ ، ولد فى السنة الثانية من خلافة عثمان بن عفان ، غزى فى زمن زياد بن أبيه ست غزوات أو سبع غزوات حجه ثقه
سمع العلم من ثمانية وثلاثين صحابياً ، روى عن جمع من كبار التابعين
توفى بالكوفة سنة سبع وعشرين ومائة للهجرة
الذهبى : سير أعلام النبلاء حـ٦ ص ١٨٦ : ١٩٣
(٢) الذهبى : سير أعلام النبلاءجـ٥ ص ٤١٣

وحلق رأسه الحلاق أعطاه ألف درهم ، فدهش وقال : أمضى أبشر أمى قال : أعطوه ألفا أخرى ، فقال امرأتى طالق إن حلقت رأس أحد بعدك قال : أعطوه ألفين آخرين.(١)

ورجل رأى القارئ اهتمام الخاصة والعامة به فى الدولة لامراء يثير حفيظة مثل الحجاج فإنه رأى فيه منافساً قوياً يهدد وجوده فى ولاية العراق .

ولقد ذهبت الروايات التاريخية إلى التماس أكثر من سبب لتكدر العلاقات بين يزيد وبين الحجاج منها ما قال : إن الحجاج لما وفد إلى عبد الملك ومر فى طريقه براهب قيل له إن عنده علماً من الحدثان ، فقال : هل تجدون فى كتابكم ما أنتم فيه ، قال نعم ، فقال: مسمى أو موصوفاً ؟ قال : موصوفاً . قال : فما تجدون صفه ملكنا؟ قال صفته كذا . قال : ثم من ؟ قال آخر اسمه الوليد قال ثم من ؟ قال آخر اسمه ثقفى . قال : فمن تجد بعدى ، قال رجل يدعى يزيد . قال أتعرف صفته قال لا أعرف صفته إلا أنه يغدر غدرة.(٢)

تركت هذه القصة الأثر الأليم فى نفسية الحجاج فسار وجلاً من عزل يأتيه من الخلافة عن بلاد العراق فبادر بالكتابة إلى الخليفة عبد الملك يستعفيه من ولاية العراق ليعلم مكانته عنده ، فجاء رد الخليفة بالتقريع والتأنيب والتوبيخ والأمر بالثبات والاستمرار على

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٦ ٢٨٠.
الذهبى : سير أعلام النبلاء جـ٥ ص ٤١٤.
(٢) ابن خلدون : تاريخه جـ٣ ص ٦٨ و ٦٩.

ما هو عليه ثم إن الحجاج جلس يوماً مفكراً واستدعى عبيد ابن موهب فدخل عليه وهو ينكت فى الأرض فرفع رأسه إليه فقال : ويحك يا عبيد ، إن أهل الكتاب يذكرون أن ما تحت يدى سيليه رجل يقال له يزيد ، وقد تذكرت " يزيد بن أبى كبشة" ،و"يزيد بن حصين بن نمير" "ويزيد بن دينار " وليسوا هناك ، وما هو إلا يزيد بن المهلب. فقال عبيد لقد شرفتهم وعظمت ولايتهم وإن لهم لقدراً وجلداً وحظاً[١]

وكان يزيد بن المهلب قد تولى فى سنة اثنتين وثمانين خراسان فظل بها إلى سنة خمس وثمانين حتى كانت قصة المنجم الذى لقيه الحجاج[٢] فأخذ يحتال علي يزيد بن المهلب ليستقدمه من خراسان فجعل الحجاج يكتب إليه ويأمره أن ينصرف من خراسان إلى ما قبله ، ويزيد يعتل عليه فلما ورد هذا الكتاب علي يزيد دعا برجل من أجلاء عرب خراسان يقال له حضين بن المنذر الربعى، فقال يا حضين إنه قد كثرت علي كتب الحجاج يأمرنى بالمسير إلى ما قبله ، وهذا أخى المفضل قد نزل الرى[٣] وقد أمرنى الحجاج أن أسلم إليه أمور خراسان فهات ما عندك من الرأى فقال له حضين ابن المنذر: لا والله أيها الأمير ! ما أشير عليك بالمسير إلى الحجاج،لأنى

---

(١)ابن كثير : البداية والنهاية جـ٩ ص٥٥،٥٦

(٢)ابن الجوزى : المنتظم حـ٤ ص٣٧٤،٣٩٦-

(٣)بفتح أوله وتشديد ثانيه مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن كثيرة الفواكه والخيرات وهى محط الحاج علي طريق السابلة وقصبة بلاد الجبال بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخا وإلى قزوين سبعة وعشرون فرسخاً ومن قزوين إلى أبهر اثنا عشر فرسخاً ومن أبهر إلى زنجان خمسة عشر فرسخاً ياقوت : معجم البلدان حـ٤ ص٤٥٧

أخاف عليك الحبس والغرم ولعله أن يقتلك ولا يبالى ، ولعله إنما ولي أخاك المفضل الرى ونواحيها مكيدة لك حتى تقع فى يده ، فأتق الله فى نفسك ، وأقم بموضعك هذا فإنه خير لك ، واعتل علي الحجاج بحروب الترك والسغد فإنه يكف عنك ، فإن هو فعل وإلا فاخرج عليه وحاربه وتمسك بما فى يدك من بلاد خراسان فإنه إن حاربته أعانك الناس عليه لبغضهم إياه وكراهتهم لولايته فقال له :يزيد ويلك يا حضين ! أما قولك بأنه يحبسنى ويغرمنى فإنى لا أشك فى هذا ، وأما أن يقدم عليّ بالقتل فما أظنه يروم ذلك وأمير المؤمنين عبد الملك بن مروان حى ، لأنه قد علم بأنى وأبى وأهل بيتى من صنائع أمير المؤمنين ، وبعد فإنا أهل بيت قد بورك لنا فى الطاعة[١]

فتجهز يزيد للمسير من خراسان إلى الحجاج الذى كان حصل علي موافقة الخليفة علي عزل يزيد عنها فلما وصل إليه ألقى الحجاج القبض عليه[٢] سنة ست وثمانين للهجرة[٣]

وثمت سبب آخر ذكره المؤرخون للخلاف بين يزيد والحجاج هو أن الوالى حين حاز بلاد العراق أذل العراقيين شريفهم ووضيعهم ولم يبق إلا آل المهلب فإنهم لم يصابوا منهم بسوء فأزمع التربص

---

(١) ابن اعثم الفتوح جـ٧ ص ١٩٩ ، ٢٠٠

ابن خلدون : تاريخه حـ٣ ص٦٩

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية حـ٩ ص٥٦

ابن خلدون تاريخه جـ٣ ص٦٩

(٣) ابن خلدون تاريخه جـ٣ ص ٨١ .

بيزيد لينال من مكانته بين العراقيين[١] وهناك سبب راجـــع إلـــى أن يزيد لم ينفذ أوامر الحجاج كما يراها الوالى شأنه فى ذلك شأن بقيـة العمال فقد قيل إن الحجاج كتب إليه أن يغزو خوارزم[٢] فأعتذر يزيـد إليه بأنها قليلة السَّلَب شديدة الكلف ثم استقدمه بعد ذلك فقـال إنـى أغزو خوارزم فكتب الحجاج لا تغزها فغزاها وأصاب سبياً ، وصالحـه أهلها وانفتل فى الشتاء[٣]

مما تقدم يرى القارئ الكريم أن الحجاج علي شـاكلة الـولاه السابقين بالبصرة والكوفة فى شأن موقفهم من المهلب بـن أبـى صفرة وبنيه وذلك يجعل المرء يجزم بأن موقف الحجاج من يزيد بن المهلب ليس له من مبرر معقول أو مقبول إلا رغبته اراحة نفسه من منافسة يزيد له فى بلاد العراق

وعلى كل حال فإن الحجاج صب عذابه[٤] علـي يزيـد ابـن المهلب وهو فى محبسه وكان الحجاج يجهد نفسه فى تعذيـب يزيـد ابن المهلب حتى يسمع أنينه وهو يعذب إلا أن الرجل كان يتصبر فـلا

---

(١) ابن أعثم : الفتوح حـ٧ ص ١٩٩

ابن الأثير : الكامل حـ٤ ص٥٠٤

(٢) تطلق علي الاقليم الذى يشمل الحوض الأدنى لنهر أموداريا (جيجون) ودلتاه التى تصب بفروعها العديدة فى بحر أرال (بحر الخزر) كما كان يطلق أسم خوارزم (أو خيوة) علي عاصمة هذا الإقليم افتتحه المسلمون علي يد قتيبة بن مسلم عام ٩٣ هـ ـ ٧١٢م

ياقوت : معجم البلدان جـ٣ ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤

أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى جـ٢ ص ٢٩٣

(٣) ابن خلدون : تاريخه جـ٣ ص ٦٩

(٤) ابن قتيبة : المعارف ص ٤٠٠

يظهر صوتاً مع شدة ما يفعل به فكان ذلك يغيظ الحجاج فقيل له إنــه رمى بنشابة فثبت نصلها فى ساقه فهو لا يمسها شــيئ إلا صــاح ، فإن حرّكت أدنى شيئ سمعت صوته فأمر أن يُعذب ويُدهق ساقه فلمـا فُعل ذلك به صَاح ، وأخته هند بنت المهلب عنـــد الحجــاج ، فلمــا سمعت صياح يزيد صاحت وناحت فطلقها[١] .

واستمر الحجاج فى تعذيبه له علي هذه الحالة حتى أن يزيــد سأله أن يخفف عنه العذاب ، علي أن يعطيه كل يوم مائة الف درهــم ،فإن أداها وإلا عذبه إلى الليل[٢]

وعلى الرغم من شدة التعذيب الذى وقف القارئ علي شـــيئ منه فإن يزيد بن المهلب لم يحجب كرمه عن الذى يأتيه فى محبســه فقد دخل عليه أحد الشعراء فى سجنه وأنشده فلما فرغ مـــن مدحــه ومواساته ليزيد فى تعذيبه قال لهذا الشاعر ما لنا ولك يا هذا قـــال : وجدتك رخيصاً ، فأحببت أن أسلفك فقال لخادمه كم معك للنفقـــه ؟ فقال نحو عشرة آلاف درهم ، قال : ادفعها إليه[٣]

اهتبل يزيد بن المهلب فرصة انشغال الحجاج بقتــال الأكــراد الذين غلبوا علي المناطق التابعة لادارته ببلاد فارس فقرر الـــهروب من محبس الوالى وكان الحجاج أخذ يزيداً واخواته

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جــ٦ ص ٤٤٨

ابن خلدون : تاريخه جــ٣ ص٨١

ابن اعثم : الفتوح جــ٧ ص ٢٠٨

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان جــ٦ ص ٢٧٩

(٣) الذهبى : سير أعلام النبلاء جــ٥ ص ٤١٤

مع جيشه المتوجه إلى هذه البلاد زيادة فى الحيطة والحذر منهم فأقامهم فى فسطاط قريباً من مكان إقامته بين جيشه وجعل الجند الشاميين حراساً عليهم ، ومع تلك الحيطة فإن يزيداً استطاع إرسال رسول من محبسه فى رستقباذ[١] إلى أخيه مروان بن المهلب يأمره أن يضمّر لهم الخيل ، ويُرى الناس أنه إنما يريد بيعها ويعرضها للبيع ، ويُغلى بها لئلا تُشترَى، فتكون لنا عَدَّة إن نحن قَدرنا على أن ننجوَ مما ها هنا . ففعل ذلك مَروان وخبيب بالبصَرة يعذّب أيضاً ، وأمر يزيدُ بالحَرَس فصُنع لهم طعام كثير فأكلوا، وأمرَ بشراب فسقُوا فكانوا متشاغلين به ، ولبسَ يزيدُ ثيابَ طبَّاخه ، ووضع على لحيته أخرى بيَضْاء، وخرج فرآه بعضُ الحرس فقال : كأنّ هذه مشية يزيد ! فجاء حتى استعرض وجهَه ليلاً فرأى بياضَ اللّحية ، فانصرف عنه ، فقال : هذا شيخ وخرج المفضَّل على أثره ، ولم يُفطنَ ، فجاءوا إلى سفنّهم وقد هيّئوها فى البطائح ، وبينهم وبين البصْرة ثمانية عشرَ فرسْخاً[٢] فلما علم الحجاج بهروب يزيد بن المهلب واخوانه فزع له وظن أنهم ذهبوا قِبل خراسان وبعث البريد إلى قتيبة بن مسلم يحذره قدومهم ، ويأمره أن يستعد لهم وكذلك فعل مع أمراء الثغور والكُوَر فطلب منهم أن يرصدوهم ويستعدّوا لهم وكتب[٣] إلى الوليد بن عبد

---

(١)الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص٤٤٨/ابن اعثم: الفتوح جـ٧ ص٢٠٩.

(٢) الطبرى تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص ٤٤٨،٤٤٩.

(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص٤٤٩

ابن خلدون : تاريخه جـ٣ ص٨١.

الملك [١] الذى كان تولى الخلافة بعد وفاة عبد الملك فى شوال سنة ست وثمانين [٢] يخبره بهَرَبهم ، وأنه لا يراهم أرادوا إلا خُراسان وظن الحجاج أن يزيد يحدث نفسَه بمثل الذى صنع ابن الأشعث [٣] من الخروج عليه ومضى يزيدٌ حتى قدم فلسطين ، فَنزَل على وهيب بن عبد الرّحمن الأزدَى وكان كريماً على سليمان [٤] وأنزل بعض ثَقَلة وأهله على سُفيّان بن سليمان الأزدّى ، وجاء وهيب بن عبد الرحمن حتى دخل على سليمان ، فقال هذا يزيدٌ بن المهلب واخوتُه فى منزلى ، وقد أتوك هُرّاباً من الحّجاج متعوذين بك ، قال فأتنى بهم فهم آمِنون لا يوصل إليهم أبداً وأناحىٌ فجاء بهم حتى أدخلهم عليه ، فكانوا فى مكان آمِن [٥] .

---

(١)أبو العباس الوليد بن عبد الملك بن مروان أمه ولادة بنت العباس، ولى الخلافة بعهد من أبيه إليه وإلى أخيه سليمان من بعده وذلك فى يوم الخميس النصف من شوال سنة ست وثمانين ، شيد وجدد عمائر للعامة فى خلافته وفى مدة حكمه ، كان الطاعون الجارف بالبصرة . يقال إنه مات بالبصرة فى (ثلاثة أيام)ثلاثمائة ألف انسان. وكان نقش خاتمة " يا وليد انك ميت ومُحَاسَب، توفى يوم السبت النصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين،وسنه ثمان وأربعون سنه وأشهر / القضاعى الإنباء بأنباءالأنبياء ص ٢٢٢ : ٢٢٦ .

(٢) العمرانى : الأنباء فى تاريخ الخلفاء ص ٥٠ /السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٢٤ .

(٣)الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ٤٤٩

(٤)أبو أيوب سليمان بن عبد الملك ، أمه ولادة بنت العباس ، بويع له يوم السبت النصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين كان نقش خاتمة "آمنت بالله مخلصاً " توفى بذات الجنب بدابق لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين وله خمس وأربعون سنة وكانت خلافته سنتين وثمانية أشهر إلا خمسة أيام. القضاعى،الأنباء بأنباء الأنبياء ص ٢٢٧ : ٢٢٩ .

(٥) الطبرى : تاريخ الرسول والملوك حـ٦ ص ٤٥٠ /ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٩ ص ٧٨ .

(وكتب سليمان إلى أخيه الوليد: بن عبد الملك يقول لـه : إنّ يزيدَ بن المهلب عندى وقد آمنته ، وإنما عليـه ثلاثـة آلاف ألـف ، وبقى ثلاثة آلاف ألف فهى علىّ فكتب إليه : لاّ والله لا أؤمّنـه حتـى تبعث به إلىّ فكتب إليه : لئن أنا بعثتُ به إليك لأجيئنّ معه ، فأنشدك الله أن تفضَحنى ولا أن تُخفرنى . فكتب أليه : والله لئـن جئتنـى لا أؤمنه فقال يزيد ابعثنى إليه ، فو الله ما أحبّ أن أوقع بينـك وبينـه عداوةً وحرباً ، ولا أن يتشاءم بى لكما الناسُ ابعث إليه بى وأرسـل معى ابنَك واكتُب إليه بألطفِ ما قدَرْتَ عليه فأرسَلَ ابنه أيـوب معـه وكان الوليد أمرَة أن يَبعَث به إليه فى وثَاق فبعَث به إليـه ، وقـال لابنه إذا أردتَ أن تدخُل عليه فادخلْ أنتَ ويزيد فى سلسلة ثمّ ادخُـلا عليه جميعاً ففعل ذلك حين انتهيا إلى الوليد ، فدَخَلا عليه ، فلما رأى الوليدُ ابنَ أخيه فى سلسلة قال والله لقد بلغْنا من سـليمان ! ثـم إن الغلام دَفَعَ كتاب أبيه إلى عّمَه وقال : يا أمَـير المؤمنيـن ، نفسـى فداؤك! إلا تُخفر ذِمةّ أبى ، وأنت أحقّ من منَعـها ، ولا تقطَـعَ منـا رجاءَ من رجا السلامة فى جوارنِا لمكاننا منك ، ولا تُذل مِـن رجَـا العزّفى الانقطاع إلينا لعزّنا بك وقرأ الكتاب) [1] فإذا فيه من ضـووب الاستعطاف ما جعل الوليد بن عبد الملك يرق لأخيه سـليمان ويقبـل شفاعته فى يزيد بن المهلب تلك التى جعلت الخليفة يكتب إلى الحجاج وإليها على العراق يقول له : إنى لم أصل إلى يزيد ، وأهل بيته مـع سليمان ، فاكفف عنهم ، واله عن الكتاب إلى فيهم [2]

---

[1] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك حـ٦ ص ٤٥١ – ابن كثير : البداية والنهاية حـ٩ ص ٧٨ ، ٧٩ .

ابن قتيبه : المعارف ص ٤٠٠ .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك حـ٦ ص ٤٥٢ .

استمر الحجاج يدبر أمر البصرة فى قوة لم ينل منها ما كان بينه وبين يزيد بن المهلب فإنه حين أراد زيارة مكة استخلف على البصرة ولده محمداً وخطب أهلها بقوله يا أهل البصرة إنى أريد الخروج إلى مكة وقد استخلفت عليكم محمداً ابنى وأوصيته فيكم بخلاف ما أوصى رسول الله -ﷺ- فى الأنصار فإنه أوصى فى الأنصار أن يقبل من مُحسنهم ويتجاوز عن مُسيئهم ألا وأنى قد أوصيته بكم ، ألا يقبل من مُحسنكم ولا يتجاوز عن مُسيئكم ألا فإنكم قائلون : لا أحسن الله له الصحابة ، وإنى معجل لكم الجواب لا أحسن الله عليكم الخلافة [١]

ويتنفس البصريون الصعداء حين مات الحجاج فى سنة خمس وتسعين للهجرة [٢] بعد مضى عشرين عاماً حكمهم فيها هم وغيرهم من أهل العراق .

وكذلك كانت حال بنى المهلب الذين أخذت الدنيا تقبل عليهم من جديد بعد ما كانت ولتهم دبرها حين تأهبت البصرة لاستقبال عهد خليفة جديد بعد وفاة الوليد فى نصف جمادى الآخرة سنة ست وتسعين [٣] وأيلولة الأمر لسليمان بن عبد الملك الذى أعلى فى عهده شأن بنى المهلب ولا سيما يزيد بن المهلب الذى تولى

---

[١] ابن الجوزى : المنتظم حـ٤ ص ٤٧٣ .

[٢] أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر حـ١ ص ٢٧٦ .
ابن الوردى : تاريخه حـ١ ص ١٧١
الذهبى : العبر حـ١ ص ٨٤ .

[٣] العمرانى : الانباء فى تاريخ الخلفاء ص ٥٠. / السيوطى: تاريخ الخلفاء ص٢٢٤، ٢٢٥.

البصرة فى عهد سليمان بن عبد الملك عوضاً عن يزيد بن أبى كبشة [١] الذى كان الحجاج قد استخلفه عليها حين نزل به مرض الموت [٢]

ويرى دوزى أن السبب الذى جعل الخليفة الجديد يولى يزيد بن المهلب البصرة راجع إلى الاختلاف فى موقف كل من سليمان والوليد إزاء الأحزاب الكبرى التى كانت تتألف من القبائل ، فيقول إن الوليد كان قيسيا لحماً ودماً ، أما سليمان فكان يمنى الهوى ، ويقول " إن حكومة الوليد كانت قد أبلغت قيساً ذروة قوتها ، فجاء سقوطها بعد موته على الفور ، وكان سقوطاً مريعاً . على أن يزيد بن المهلب أخذ جانب اليمن فى صورة صريحة ، وكان باعتباره أزدياً ينتسب إليهم ، وكان معارضاً لقيس . أما الحجاج فإنه لم يضطره إلى معارضة اليمن والى الظهور بمظهر من يكون فى جانب قيس إلا يزيد بن المهلب وابن الأشعث من قِبلة ، وهو من نفسه لم يتنكر لأصله وأنه من ثقيف الذين كانوا يعدون من قيس ، كما قد آثر أن يختار حاشيته من دائرة من يعرفهم [٣] .

وهذا الذى ذهب إليه دوزى لم يرتض الأخذ به صاحب تاريخ الدولة العربية على أساس أن السبب الذى جعل عبد الملك ثم الوليد

---

[١] السكسكى الدمشقى من أهل بيت لهيا روى عن أبيه أبى كبشه جبريل ابن يسار بن شبل ، ومروان بن الحكم ورجل له صحبه ، وعنه روى أبو بشر والحكم بن عتيبة وغيرهما ، توفى فى خلافة سليمان بن عبد الملك .
ابن حجر : تهذيب التهذيب حـ١١ ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ .

[٢] ابن الأثير : الكامل حـ٤ ص ٥٨٣ ، ٥٨٤ - ابن الجوزى : المنتظم حـ٤ ص ٤٧٦ .

[٣] فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ص ٢٥١ ، ٢٥٢ .

يتمسكان بالحجاج لا يعود إلى قيسيته إذهو كان من المغمورين قبل أن يرفعه عبد الملك ثم الوليد فلما رأى فيه عبد الملك همةً ودقةً فى ضبطه للأمور تمسك به وأوصى بذلك ولده أما سليمان فإن عزله لعمال الحجاج كان على أساس البغض الشخصى للوالى ومقولة الوشاه عنده فى حقه وليس نتيجةً لعصبية الخليفة ضد القيسية " فسليمان أمه هى أم الوليد ، وكانت قيسية من عبس ، ومن العسير جداً أن يتنكر سليمان لما يجرى فى عروقه من دم . أما انقسام العالم العربى إلى قسمين متخاصمين على أساس الإنقسام القبلى ، فإنه كان فى ذلك الوقت ما يزال فى دور التكوين . وقد كان ما بين الولاة والرؤساء الأقوياء من عداء شخصى سبباً جوهرياً فى تفاقم خطب هذا الانقسام .

ولا يصح للمؤرخ أن يعمد إلى ماهو نتيجة فى التاريخ فيجعله بمثابة أصل وقاعدة يرجع بها إلى الوراء حتى يجعلها فى بدايات ما قبل التاريخ .[١]

وعندى أن ما ذهب إليه يوليوس فلهوزن هو الصحيح فتعيين يزيد على ولاية البصرة ليس له من تبرير معقول سوى أن الخليفة رأى فى يزيد بن المهلب بعد مخالطته له كفاءةً وكياسةً تؤهلانه لقيادة بلد دأب أهله على القيام بالثورات فى وجه ولاتهم فرأى أنه من الأجدى لخلافته الإفادة من خبرة هذا الرجل وقوة شوكة عائلته

---

[١] فلهوزن: تاريخ الدولة العربية ص٢٥٢ ، ٢٥٣.

وقبيلته بين ساكنى البصرة حتى يؤمن لنفسه خلافةً مستقرةً فى هذا الثغر الهام ، وذلك شأن سائر الحكام فى مختلف العصور فلا يقال عن حاكم يدفع بخلصائه من الرجال إلى ولاية الأعمال على أساس اعتبارات بعينها أنه يحيى العصبية القبلية بتعيينه هذا وتركه لذاك فإتهام خلفاء الدولة الأموية بإحياء العصبية القبلية تهمة لا أساس لها من الصحة وتحتاج إلى جهد المنصفين من المؤرخين حتى ينفوا تلك التهمة عن خلفاء الدولة التى قدمت للإسلام الكثير والكثير.

وعلى كل حال فإن يزيد بن المهلب حين جاء البصرة والياً عليها من قبل سليمان ، وعين العمال فى الأعمال [١] وحرص على حسن معاملة أهلها فابتعد عن جباية الخراج جاعلاً إياه إلى صالح بن عبد الرحمن [٢] الذى كان من عمال الحجاج فمارس وظيفته مستقلاً عن يزيد وضيق عليه وعلى العراقيين فرفض تحمل شئ من النفقات الكثيرة التى كان ينفقها يزيد ، ولقد كان يزيد بن المهلب فى ولايته محجةً يؤمها الوجهاء إذا ما نزلت بهم الملمات حتى يفرج عنهم الكربات . فها هوذا عمر بن هبيرة يأتيه فى عصبة من كبار رجالات الدولة منهم عثمان بن حيان المرى ، والقعقاع بن خالد العبسى ، والهذيل بن زفر بن الحارث الكلابى ، وغيرهم من "قيس" يلتمسون

---

(١) خليفه بن خياط : تاريخه ص٣١٧.

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص٥٠٧ ابن الجوزى : المنتظم جـ٤ ص٤٩٠ ، ٤٩١ . فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ص٢٥٣ ، ٢٥٤ .

من "يزيد" أن يحمل عن ابن هبيرة نصف المال الذى أغرمه إياه سليمان بن عبد الملك وكان يبلغ ألف ألف درهم ففعل فلما خرجوا من عنده جاءوا إليه يرجونه أن يحمل عنهم النصف الآخر فقبل ذلك ورفع أمرهم إلى سليمان بن عبد الملك فصمم على أن يحمل يزيد ابن المهلب إلى بيت مال المسلمين المال الذى كان أغرمه ابن هبيرة فلما حمله يزيد من غده وأُخبر به الخليفة سليمان بن عبد الملك دخل عليه يزيد فقال له : أمير المؤمنين (ذكت بك نارى ، ووريت بك زنادى ، غرمها علي وحمدها لك ، وقد وفت لى يمينى ، فأرجع المال إليك ففعل) [١] .

عمل يزيد وهو بالبصرة علي تنفيذ أمر الخليفة سليمان له فنكب آل أبى العقيل قوم الحجاج وبنى أبيه [٢] وكان سبب تعذيبهم أن سليمان بن عبد الملك لمّا ولى الخلافة طلب آل أبى عَقيل فأخذهم وسلّمهم إلى يزيد بن المهلّب ليخلص أموالهم ، فعذّبهم وبعث ابن المهلب إلى البلقاء من أعمال دمشق ، وبها خزائن الحجّاج ابن يوسف وعياله ، فنقلهم وما معهم إليه ، وكان فيمّن أُتى به أم الحجاج زوجة يزيد بن عبد الملك [٣]وقيل بل أخت لها ، فعذّبها فأتى

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٦ ص ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ .
(٢)ابن خلدون : تاريخه جـ٣ ص ٨٦ .

(٣) أبو خالد يزيد بن عبد الملك بن مروان أمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بويع له بالخلافة يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة إحدى ومائة استمرت خلافته أربع سنين وشهراً نقش خاتمة " قنى السيئات يا عزيز "
توفى لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومايه، القضاعى الإنباء بأنباء الأنبياء ص ٢٣٣ : ٢٣٥ .

يزيدُ بن عبد الملك إلى ابن المهلّب فى منزلة فشفع فيها ، فلم يشفعه فقال : الذى قررتم عليها أنا أحمله ، فلم يقبل منه ، فقال لابن المهلّب : أما والله لئن وليتُ من الأمر شيئاً لأقطعن منك عضواً ! فقال : ابنُ المهلّب وأنا والله لئن كان ذلك لأرمينّك بمائة ألف سيف . فحمل يزيد بن عبد الملك ما كان عليها وكان مائة ألف دينار وقيل أكثر من ذلك [١] وبسط أصناف العذاب عليهم . فولى علي ذلك عبد الملك بن المهلب [٢] ومن ثم كان ذلك سبباً فى تكدر العلاقات بين يزيد بن المهلب ويزيد بن عبد الملك .

ويذكر بعض المؤرخين سبباً آخر غير ذلك فقد كان يزيد بن المهلب فى أيام سليمان بن عبد الملك دخل ذات يوم إلى الحمام ، وخرج وعليه حله له يمانية ، وفى رجله نعل له يصر صريراً شديداً ، وقد تضمخ بالغالية ، فقال يزيد بن عبد الملك وهو جالس إلى جنب عمر بن عبد العزيز قبح الله هذه الدنيا وما فيها ! لوددت أن مثقال غالية بألف دينار فلا ينالها إلا كل شريف فسمع ذلك يزيد ابن المهلب فالتفت إلى يزيد بن عبد الملك فقال : يا مؤنث ! ألى يقال هذا وأنا ابن المهلب بن أبى صفرة ! إنما كان يجب عليك أن تقول : وددت أن الغالية لا توجد إلا فى جبهة الأسد فلا ينالها إلا مثلى فقال : عمر بن عبد العزيز : مهلاً أبا خالد ! ولا كل هذا ، فإنه ولى عهد ومع اليوم غد فالتفت يزيد بن عبد الملك فقال : والله يا ابن المهلب لئن وليت هذا الأمر يوماً من الأيام لأقطعن خير طابق من يديك !

---

(١) ابن الأثير : الكامل حـ٥ ص ٥٧ . ابن الجوزى : المنتظم حـ٤ ص ٥٣٣ .
(٢) ابن خلدون : تاريخه حـ٣ ص ٨٦ .

فقال له يزيد بن المهلب : والله لئن وليت هذا الأمر وأنا حيٌّ لأضربن وجهك بخمسين ألف سيف [١] .

وعندى أن ما ذكره ابن اعثم فى هذه الرواية ليس له نصيب من الصحة بل قل إن شئت هو من قبيل النسج القصصى المنبنى على الخيال ليس إلا ، فلا يتصور المرء من يزيد الظهور بمظهر غير المبالى بالسلطة ، وأنيابها ، التى تحميها وهو الأريب السياسى حتى يقول ما يقول .

ومن ثَمَّ فإن هذه الرواية التى ذكرها ابن اعثم وهو شيعى محترق ليس القصد منها إلا تشويه صورة بنى أمية

وكيفما كان فإن يزيد بن عبد الملك أسر ذلك فى نفسه إلى أن آلت إليه الخلافة فكان ما يراه القارئ من موقفه من ابن المهلب وخرج يزيد من البصرة علي رأس عدة حملات [٢] إلى طبرستان وجرجان وظل يزيد يدبر أمر البصرة حتى توفى سليمان بن عبد الملك سنة تسع وتسعين للهجرة [٣] ومجئ عمر بن عبد العزيز إلى الخلافة فى صفر سنة تسع وتسعين لتبدأ مرحلة جديدة من المراحل التى مربها يزيد بن المهلب فقد رأيته فى مرحلته الأولى والياً علي خراسان فإذا به يحبس عند الحجاج ثم والياً علي البصرة تلك الولاية التى انتهت بمجئ وال آخر علي المصر من قبل عمر بن عبد العزيز هو عدى

---

(١)ابن اعثم : الفتوح حـ٧ ص ٣٢١ ، ٣٢٢ .

(٢) خليفة بن خياط / تاريخه ص ٣١٤ ، ٣١٥ .

(٣) العمرانى : الإنباء فى تاريخ الخلفاء ص ٥٠ . السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٣١ .

ابن ارطاه لتبدأ بينه وبين يزيد بن المهلب مرحلة ثالثة دفع فيها الرجلان حياتهما فى صراعهما الذى أنهك الدولة الأموية كما سيراه القارئ فى الصفحات التالية .

بين عدى بن أرطاه

ويزيد بن المهلب

جعل عمر بن عبد العزيز عدى بن أرطاه (بخ) الفزارى الدمشقى والياً علي البصرة لما عرفه عنه من الصلاح فقد حدث عن عدى عمرو بن عبسة وأبو أمامه ، ولقد خطب عدى الناس قبل ولايته حتى بكى وأبكى [١]

وحين بعثه عمر عليها وصاه بقوله : (إذا أمكنتك القدرة علي المخلوق فاذكر قدرة الخالق القادر عليك ، وأعلم أن مالك عند الله أكثر مما لك عند الناس) [٢]

كان علي الوالى الجديد مجابهة نفوذ يزيد بن المهلب الوالى السابق علي المصر حتى يستقيم له أمر البلد وقد واتته الفرصة حين جاءت جماعة من خراسان إلى البصرة تشكو يزيداً إلى عدى طالبين منه رد أموالهم التى سلبها ابن المهلب [٣] فأرسل بعد وصوله إلى عمله فى أثر يزيد بن المهلب موسى بن الوجيه الحميرى للقبض

---

(١) الذهبى : سير أعلام النبلاء حـ٥ ص ٦٣٤ . ابن حجر : تهذيب التهذيب حـ٧ ص ١٦٤ .

(٢)ابن عبد ربه : العقد الفريد حـ٤ ص ٤٣٦ .

(٣)ابن اعثم / الفتوح حـ٧ ص ٣١٣ : ٣١٨ .

عليه [١] فلقيه وهو قادم من خراسان إلى البصرة عند نهر معقل عند الجسر فقيده [٢] وبعث به إلى عمر بن عبد العزيز وقد كان الخليفة يبغضه ويبغض بنيه ويقول : جبابرة ، وكان يزيد يبغض عمر فلما وصل إلى عمر سأله عن الأموال التى كتب بها إلى سليمان ، قال : إنما كتبت إليه لأسمع الناس ، ولم يكن سليمان ليأخذنى بشئ سمعت به ، فقال له : ما أجد فى أمرك إلا حبسك فاتق الله وأدما قبلك فإنها حقوق المسلمين لا يسعنى تركها فحبسه إلى أن مرض عمر [٣] وثمت رواية أخرى ذكرها الطبرى عن كيفية القبض علي يزيد ابن المهلب فيها أن عمر بن عبد العزيز عندما طلب من واليه علي البصرة عدى ابن ارطاة ارسال يزيد بن المهلب إلى جند الخلافة بعين التمر ، ومن ثَمّ إلى حاضرة خلافته أنفذه عدى بن أرطاه مع وكيع بن حسان ابن أبى سود التميمى فلما أركبه البحر هم الأزد قوم يزيد بانتزاعه منه فأقسم وكيع بغلاظ الإيمان إن اقترب منه أحد ليضربن عنق يزيد بالسيف فمنعهم ابن المهلب من الاقتراب منه [٤] ولقد جاء مخلد بن يزيد بن المهلب عمر بن عبد العزيز يسأله إطلاق سراح أبيه فقال له : إن الله يا أمير المؤمنين صنع لهذه الأمة بولايتك عليها ، وقد ابتلينا بك فلا تكن أشقى الناس بولايتك علام تحبس هذا الشيخ ! أنا أتحمل ما عليه فصالحنى علي ما إياه تسأل ،

---

[١] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك حـ٦ ص ٥٥٤ .
(٢) ابن خلدون : تاريخه حـ٣ ص ٩٤ ، ٩٥ .
[٣] ابن الجوزى : المنتظم حـ٤ ص ٥٢٧ . محمود شيت خطاب : مسلمة بن عبد الملك بن مروان فاتح شطر الأناضول ومحاصر القسطنطينية بحث منشور في مجلة المجمع العلمى العراقى مجلد رقم ٢٩ لسنة ١٩٧٨ ، ص ٧٣ ، ٧٤ .
(٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك حـ٦ ص ٥٥٨ .

فقال عمر : لا إلا أن تحمل جميع ما نسأله إياه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن كانت له بينه فخذ بها ، وإن لم تكن بينه فصدق مقالة يزيد ، وإلا فاستحلفه ، فإن لم يفعل فصالحه فقال له عمر : ما أجد إلا أخذه بجميع المال فلما خرج مخلد قال هذا خير عندى من أبيه فلم يلبث مخلد إلا قليلاً حتى مات [١]

تملك يزيد بن المهلب الفزع الشديد وهو فى محبس عمر بن عبد العزيز حين وجد الخليفة ثقل المرض عليه وأن يزيد بن عبد الملك سيكون إليه الأمر من بعده ولا يخفى علي القارئ ما بين اليزيد ابن عبد الملك وابن المهلب من خلاف سبقت الإشارة إليه ومن ثم مالأ الحراس علي الهروب ورتب لذلك مع مواليه فخرج من محبسه قبل وفاة عمر بيومين [٢] فلما نجح فى ذلك كتب الى عمر بن عبد العزيز كتاباً يقول : (إنىّ والله لو وثقت بحياتك لم أخرج من محبسك، ولكنىّ خفت أن يلى يزيد فيقتلنى شرّ قتله . فورد الكتاب عمر وبه رمق ، فقال اللهم إن كان يريد بالمسلمين سوءاً فألحقهُ به وهضة فقد هاضنى) [٣] وقيل إن يزيد بن المهلب إنما هرب من سجن عمر بعد موته [٤]

آلت الخلافة بعد وفاة عمر بن العزيز إلى يزيد بن عبد الملك سنة إحدى ومائة فلما تولى مقاليدها وقف علي هروب يزيد بن المهلب من محبس سلفه

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك حـ٦ ص ٥٥٧ . الخضرى : محاضرات فى تاريخ الدولة الأموية ص ٥٣٠ .

(٢)اليعقوبى : تاريخه حـ٢ ص ٣٠٨ .

(٣) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك حـ٦ ص ٥٦٤

ابن الأثير : الكامل حـ٥ ص ٥٨ .

(٤)الطبرى : تاريخ الرسل والملوك حـ٦ ص ٥٦٥ .

فأرسل إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن [1] واليه علي الكوفة وإلى عدى بن أرطاه يأمرهما بالتحرز من يزيد ويعرفهما قربه وأمر عدياً أن يأخذ من بالبصرة من آل المهلب ، فأخذهم وحبسهم ، فيهم المفضل وحبيب ومروان بنو المهلب وعلى الرغم من كتابة الخليفة إلى والييه علي البصرة والكوفة بالتصدى ليزيد بن المهلب إلا أنه مضى فى سيره دون معترض نحو البصرة وقد جمع عدى بن أرطاه أهلها وخندق عليها ، وبعث علي خيل البصرة المغيرة بن عبد الله ابن أبى عقيل الثقفى فلما علم عبد الملك بن المهلب بمسير أخيه إلى البصرة وهو فى محبس عدى أرسل إليه يقول (خذ ابنى حميداً فاحبسه مكانى وأنا أضمن لك أن أرد يزيد عن البصرة حتى يأتى فارس ويطلب لنفسه الأمان ولا يقربك فأبى عدى اطلاق سراحة) [2] فلما جاء يزيد فى أصحابه الذين معه التقاه أخوه محمد بن المهلب فيمن اجتمع إليه من أهله وقومه ومواليه فدخل بهم البصرة دون أن يشتبك معه أحد فكان لا يمر بأتباعه علي خيل من خيول البصريين ولا قبيلة من قبائلهم إلا تنحوا له عن طريقه وأقبل يزيد حتى نزل داره [3] .

---

(١) ابن زيد بن الخطاب أبو عمر العدوى الخطابى المدنى الأعرج ، ولى إمرة الكوفة لعمر بن عبد العزيز وروى عن ابن عباس ومحمد بن سعد وغيرهما حدث عنه ابناه عمر وزيد والزهرى وغيرهم . توفى بحران فى سنة نيف عشرة ومائة للهجرة / الذهبى : سير أعلام النبلاء جـ٥ ص ٦٠١ .

(٢)الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص ٥٧٩ .

(٣)ابن اعثم : الفتوح جـ٨ ص ١ ، ٢ ، ٣ .

ابن الأثير : الكامل جـ٥ ص ٧١ . /ابن الجوزى: المنتظم جـ٤ ص ٥٣٧ .

ابن خلدون : تاريخه جـ٣ ص ٩٦.

رأى القارئ الكريم مما تقدم عدياً ابن ارطاة والى الخليفة علي البصرة عاجزاً عن الحيلولة بين يزيد بن المهلب وبين دخوله البصرة وهو مع ذلك يأبى إلا المضى قدماً فى معارضته للثائر فقد سبق له رفض سعى عبد الملك بن المهلب فى الوساطة بينه وبين أخيه يزيد حتى يجنب البصريين أراقه الدماء .

ومع ازدياد موقف عدى حرجاً بدخول يزيد بن المهلب داره بالبصرة فإن واليها ظل متمسكاً برفضه مسالمة الثائر الذى كان علي النقيض منه فى هذا الأمر فقد أرسل يزيد بن المهلب إلى الوالى يقول: أن ابعثَ إلىّ اخوتى وإنّى أصالحك علي البصرة وأخلّيك وإيّاها حتى آخذ لنفسى من يزيد ما أُحب فلم يقبل منه [١] ولقد جانب الصواب والى البصرة فى موقفه من ابن المهلب وذلك لأمرين:

أولهما أنه لم يقم وزنا لانفضاض البصريين عنه وميلهم الى يزيد بن المهلب الذى جعل من أمواله مطيةً توصله إلى غايته وهى إحراز البصرة وما يجاورها ، ومن ثّم إحراج الخليفة يزيد بن عبد الملك فإن أهل البصرة حين علموا بنزول يزيد داره بالمصر قصدوها فأخذ يعطى من أتاه قطع الذهب والفضة ، فمال الناس إليه وكان عدّى لا يعطى إلا درهمين درهمين ويقول : لا يحل لى أن أعطيكم من بيت المال درهماً إلا بأمر يزيد بن عبد الملك ولكن تبلغوا بهذه حتى يأتى الأمر فى ذلك [٢]

---

(١)ابن الأثير: الكامل حـ٥ ص ٧١ ، ٧٢ .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك حـ٦ ص ٥٨٠ ، ٥٨١ - ابن اعثم الكوفى : الفتوح حـ٨ ص ٤ .

ثانيهما : إن عدياً حين قرر التصدى لنفوذ يزيد بن المهلب بالمصر كان ذلك بناء علي استقراء شخصى لمستجدات أمور ولايته دون الرجوع إلى الخليفة وهو فى هذا يخالف ما جرت عليه عادة الولاة من الرجوع إلى الخلفاء فى عاجل الأمور وعظيمها وليس أعظم من دخول خارج علي الدولة حاضرة ولاية لسلخه عن جسمها يدلك علي ذلك هذا الاختلاف فى معالجة هذه الثورة بين الوالى وخليفته فالوالى يرى التصدى لها بالسلاح كما رأيت أما الخليفة فإنه يرى مفاوضة زعيمها لعله يدرك باللسان ما يغنيه عن الحسام وآية ذلك هذا الأمان الذى أرسله الخليفة الى الثائر حين قصده حميد بن عبد الملك بن المهلب [١] إلا أن أمان الخليفه لم يصل البصرة الا بعد ماكان يزيد بن المهلب استولىعليها ذلك أنه ترتب على هذا الموقف الذى وقفه الوالى من يزيد بن المهلب أن نشبت بين الرجلين معركة انجلت عن دخول الثائر قصر الإمارة ، واطلاق سراح اخوته وآله الذين كانوا في محبس عدى بن أرطاه ليس هذا فحسب بل ان يزيداً القى القبض على والى البصرة الذى قال له يزيد وهو فى محبسه .(لولا حبسك اخوتى لما حبستك) [٢]

ضارت البلد بعد ذلك تحت سيطرة يزيد واتباعه الذى قصد المسجد فبايعه البصريون فيه على كتاب الله وسنه نبيه -ﷺ -وعلى ألا تطأ الجنود بلادهم ولا بيضتهم ولا يعاد عليهم سيرة الحجاج فمن

---

(١) بن الأثير: الكامل ص جـ ٥ ص ٧٢ /ابن خلدون : تاريخه جـ ٣ ص٩٨.

(٢) ابن الاثير : الكامل ٥ صـ٧٣ ، ابن اعثم : الفتوح جـ٨ ص٤ ، ٥،٦،٧،٨ فلهوزن : تاريخ الدولة العربية صـ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

بايعه على ذلك قبل منه ومن أبى جاهده وجعل الله بينه وبينه [١] ثم خطب الناس خطبةً اخبرهم فيها أنه يدعو إلى كتاب الله وسنة نبيه -ﷺ- ويحث على الجهاد زاعماً أن جهاد أهل الشام أعظم ثواباً من جهاد الترك والديلم الامر الذى جعل الحسن البصرى [٢] وغيره من القراء الذين سمعوها ينقسمون على انفسهم فكان منهم المعارض ليزيد بن المهلب ومنهم من دعا الناس الى مبايعته ومؤازرته فمن الأول ما فعله الحسن البصرى حين دخل الى المسجد ويزيد يخطب فقال الحسن يزيد يدعو الى كتاب الله والله لقد رأيناك والياً ومولياً عليه ، فجعل أصحابه يأخذون على فيّه لئلا يتكلم فقال الحسن : إنما كان يزيد بالأمس يضرب رقاب هؤلاء ويسرح بها إلى بنى مروان يريد رضاهم ، فلما غضب نصب هؤلاء وقال : أدعوكم إلى كتاب الله وسنة العمرين وإن من سنة العمرين أن يوضح قيد فى رجله ثم يرد الى محبس عمر [٣] .

---

[١] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، حـ٦ صـ٥٩٢ .

[٢] أبو سعيد الحسن بن أبى الحسن يسار البصرى كان من سادات التابعين أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصارى -رضي الله عنه-، وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبى -ﷺ-.

ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- بالمدينة فى وادى القرى عللته أم سلمة زوج النبى -ﷺ- بثديها ، توفى بالبصرة مستهل رجب سنة عشر ومائة/ ابن خلكان : وفيات الأعيان حـ٢ صـ٦٩،٧٣.

[٣] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك حـ٦ صـ ٥٨٧ ، ٥٨٨ .

ابن الجوزى : المنتظم حـ٤ صـ٥٣٧،٥٣٨ .

الخضرى : محاضرات فى تاريخ الدولة الأموية صـ٥٣١ ، ٥٣٢ .

عبدالشافى : العالم الاسلامى فى العصر الأموى صـ٥١٢ ، ٥٢٠ .

ومن الثانى ما كان من النضر بن أنس بن مالك [١] الـــذى إنشـــأ يدعو الناس إلىَ يزيد وهو يقول : يا هؤلاء أنكـــم تســـمعون الرجـــل يدعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه محمد- ﷺ -فـــأجيبوا الرجـــل ولا تخذلوه فسمعه الحسن البصرى وهو يقول ذلك فالتفت إلى قوم كـــانوا الى جانبه فقال : وهذا النضر بن أنس بن مالك وهو أيضاً ممن يعيـــن على الفتنة :[٢]

فمن الطبعى والحالة هذه أن يتصدى بنو المهلب للحسـن البصرى وأمثاله حتى لا يفسدوا عليهم البصريين وذلك ما كان فـــإن مروان بن المهلب حين علم بأقوال الحسن البصرى فـــى يزيـــد ابـــن المهلب قال : بلغنى أن هذا الشيخ الضال المرائى ، ولم يسمه يثبـــط الناس والله لو أن جاره نزع من خص داره قصبه لظل يرعف لأنفـــه! وايم الله ليكفن عن ذكرنا وعن جمعه إليه ســـقاط أبلـــه وعلـــوج [٣] فرات البصرة أو لأنُحين عليه مبرداً خشناً ، فلما بلغ ذلـــك الحســـن قال : والله ما أكره أن يكرمنى الله بهوانه . فقال ناس من أصحابـــه :

---

[١] الأنصارى أبو مالك البصرى روى عن أبيه وابن عباس وزيد بن ارقم وآخرين ، وعنه روى قتادة وحميد الطويل وغيرهما ، لم يذكر تاريخ بعينه لوفاته سوى قول ابن حجر أنه توفى فى حياة الحسن البصرى

ابن حجر : تهذيب التهذيب جـ١٠ صـ٤٣٥ ، ٤٣٦ .

[٢] ابن اعثم : الفتوح جـ ٨ ص ٩،٨ .

[٣] الرجل الشديد الغليظ من كفار العجم

ابن منظور : لسان العرب مادة علج .

لو أرادك ثم شئت لمنعناك . فقال لهم : فقد خالفتكم إذاً الى ما نـهيتكم عنه ، أمر كم أن لا يقتل بعضكم بعضاً مع غيرى وآمركـم أن يقتـل بعضكم بعضاً دونى ! فبلغ ذلك مروان فاشتد عليهم وطلبهم وتفرقـوا وكف عن الحسن [١]

لما استوثق يزيد بن المهلب من سيطرته على البصـرة خلـف عليها أخاه مرواناً وسار بجنده حتى نزل واسطاً هناك أراد الوقـوف على آراء أصحابه فى السبيل الذى يسلكونه وهم يواجهون جيـوش الدولة الأموية فقالوا له حين استنصحهم نـرى أن تخـرج وتـنزل بفارس فتأخذ بالشعاب وبالعقاب ، وتدنو من خراسان وتطاول القـوم فإن أهل الجبال ينفضون إليك وفى يديك القلاع والحصون . فقـال : ليس هذا برأى ، ليس يوافقنى هذا ، إنما تريدون أن تجعلونى طـائراً على رأس جبل فقال له حبيب : فإن الرأى الذى كان ينبغى أن يكـون فى أول الأمر قد فات ، قد أمرتك حيث ظهرت على البصرة أن توجـه خيلاً عليها أهل بيتك حتى ترد الكوفة فإنما هو عبد الحميد بن عبـد الرحمن مررت به فى سبعين رجلاً فعجز عنك فهو عن خيلك أعجـز فى العدة ، فنسبق إليها أهل الشام وعظماء أهلها يرون رأيـك ، وأن تلى عليهم أحب إلى جلهم من أن يلى عليهم أهل الشام فلـم تطعنـى وأنا أشير الآن برأى ، سرح مع أهل بيتك خيلاً من خيلـك عظيمـة فتأتى الجزيرة ، وتبادر إليها حتى ينزلوا حصناً من حصونها وتسـير

---

[١] ابن اعثم : الفتوح حـ٨ صـ١٣،١٤ .

ابن الأثير : الكامل حـ٥ صـ٨١ .

ابن خلدون : تاريخه حـ٣ صـ٩٩ .

فلهوزن : تاريخ الدولة العربية صـ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

فى أثرهم ، فإذا أقبل أهل الشام يريدونك لم يدعوا جنداً من جنـــودك بالجزيرة ويقبلون إليك فيقيمون عليهم ، فكأنهم حابستهم عليك حتــى تأتيهم فيأتيك من الموصل من قومك ، وينفض إليك أهل العراق وأهل الثغور وتقاتلهم فى أرض رخيصة السعر ، وقد جعلت العــراق كلــه وراء ظهرك . فقال : إنى أكره أن أقطع جيشى وجندى[١].

فأنت ترى يزيداً يضرب عرض الحائط بآراء رجالاته ويــأبى إلا التمسك برأيه فى حربه لجيوش الخلافة الأموية دون أن يبرهن لـــهم على ضعف آرائهم؛ صحيح أنه قال لهم عن الرأى الأول (إنما تريدون أن تجعلونى طائراً على رأس جبل) وعن الرأى الثانى بقوله أكره أن أقطع جيشى إلا أن ذلك فيما أظن ليس بالرد المقنع لرجـــال خرجــوا حاملين أرواحهم على أكفهم يجابهون دولةً تملك من العدد والعتاد مـا لا سبيل إلى مقارنته بالذى يملكونه من ذلك فـــأراد أتبــاع يزيــد أن يستعيضوا عن البون الشاسع فى الإمكانيات يجعل بلاد العــراق وراء ظهورهم ومن ثَمّ ضمان تقاطر الإمدادات عليهم عنـــد الحاجــة مــن رجال أظهروا سخطـهم على الدولة الأموية وولاتها ليس هذا فحســب بل إن هذا الرأى الذى عرضوه على يزيد بن المهلب يضمن له وفــرة المؤن لجيشه فى سهولة ويسر وهذا كما ترى لا يقـــل أهميــة فـــى الحرب عن العتاد إن لم يفقه فكان هذا الخلاف الذى خالف به يزيـــد أتباعه من العوامل التى سهلت على مسلمة بن عبـــد الملـــك إحــراز الإنتصار على يزيد فإن الخليفة يزيد بن عبد الملك حين علـــم بعـدم

---

[١] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٦ صـ٥٨٨،٥٨٩

ابن الأثير : الكامل جـ٥ صـ٧٦ ، ٧٧

ابن الجوزى : المنتظم جـ ٤ صـ٥٤٨

جدوى أمانه للثائر أشخص أخاه مسلمة بن عبد الملك لحربه في سبعين ألف مقاتل وقيل ثمانين ألفا[١] .

فلما وقفت شيعة يزيد بن المهلب على أخبار الجيش القادم من بلاد الشام بقيادة قائده الفذ مسلمة بن عبد الملك صاحب الانتصارات في الأناضول والقسطنطينية [٢] راعهم ذلك فأراد يزيد أن يذهب عنهم فزعهم فذكر لهم أنهم أقوى من الجيش الذى يوشكون على مجابهته وأن قائده أصغر من أن يقيم له وزناً فهو ليس إلا جرادة صفراء لا تحدث أثراً في رجال من الغرب يجابهون آخرين دونهم جمعهم القائد الأموى من أماكن شتى فلا يقوى هؤلاء عليهم إن هم قاتلوهم بما عرف عن العرب من همة وقوة في الحرب قد رأيت أهل العسكر وخوفهم ، يقولون جاء أهل الشام ومسلمة ، وما أهل الشام ؟ هل هم إلا تسعة أسياف ، سبعة منها إلىّ وسيفان علىّ ، وما مسلمة إلا جرادة صفراء ، أتاكم في برابرة ، وجرامقة ، وجراجمة [٣] وأنباط وأبناء فلاحين وأوباش وأخلاط أو ليسوا بشراً يألمون كما تألمون

---

[١] الدينورى : الأخبار الطوال صـ٣٣٢ ، الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٦ صـ٥٩٠

ابن الأثير : الكامل جـ٥ صـ ٧٤

محمود شيت خطاب : مجلة المجمع العلمى العراقى " مسلمة بن عبد الملك " مجلد ٢٩ / ١٩٧٨ صـ٧٦ ، ٧٧ .

[٢] القضاعى : الإنباء بأنباء الأنبياء صـ٢٢٧ ، ٢٢٨

[٣] اسم شعب قديم كان يسكن الشام اشتق اسمه من مدينة تدعى جرجومة كانوا عوناً للمسلمين على الروم في فتح الشام فصولحوا على أن يكونوا أعواناً للمسلمين وعيوناً ومسالح في جبل اللكام وأن لا يؤخذوا بالجزية .

أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى جـ١ صـ ٥٨٨

وترجون من الله ما لا يرجون ؟ أعيرونى سواعدكم تصفقّون بها وجوههم وقد ولوا الأدبار[١].

وعلى كل حال فإن يزيد بن المهلب سار بجيوشه حتى نزل العقر فى مواجهة مسلمة بن عبد الملك فما فتئ يزيد بن المهلب يحمس جنده عند مشرقِ كل شمس على القتال ويحقّر لهم من شأن قادة معسكر الشام [٢] ، وبدلاً من أن تثمر هذه الأقوال فى العراقيين الثمرة التى يتمناها يزيد إذا بها تجعل القائد فى موقف بالغ الحرج بعد مضى أيام على مكثه بعسكره عند العقر فإن غير واحد من وجوه عسكر يزيد دعا الشاميين إلى تحكيم كتاب الله وسنة رسوله – ﷺ – فيهم فوجدها الشاميون فرصةً ليخضعوا بها جند يزيد فأعلنوا قبولهم هذه الدعوة الأمر الذى ضيع على يزيد بن المهلب فرصة إحراز الانتصار على مسلمة بن عبد الملك بمباغتته وتبييت عسكره وطم خندقه فلما أطلع أتباعه على ذلك لم يشاطروه رأيه على اعتبار أن ذلك نقض للعهد الذى عقدوه مع الشاميين فنهض أحدهم ليقول له : إنا قد دعوناهم إلى كتاب الله وسنة نبيه –ﷺ –وقد زعموا أنهم قبلوا هذا منا فليس لنا أن نمكر ولا نغدر حتى يردوا علينا ما زعموا أنهم

---

[١] ابن الأثير : الكامل جـ٥صـ٧٥

[٢] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٦ صـ٥٩١ ، ٥٩٢

قابلوه منا [١] وبعد ثمانية أيام انقضت على وجود الجيشين عند العقر نشبت بين الفريقين أتباع ابن المهلب وجند الخلافة بقيادة مسلمة بن عبد الملك معركة ضروس خذل فيها العراقيون قائدهم يزيد بن المهلب فانفضوا عنه وعبثاً حاول ردهم إلى ميدان الحرب فإنهم كانوا أقبلوا كالجبال يريدون الفرار دون حرب فقال يزيد حين رآهم فى هيئتهم هذه قبحهم الله بَقٌ دُخّن عليه فطار .... دعوهم فوالله إنى لأرجو أن لا يجمعنى وإياهم مكان أبدا دعوهم يرحمهم الله ، غنم عدا فى نواحيها الذئب ، ومضى يزيد بن المهلب فى عصبة يسيرة من خلصاء أتباعه مستأسدين يضربون خيول ووجوه الشاميين الذين مروا بهم حتى وصل يزيد إلى مسلمة بن عبد الملك يريد الإجهاز عليه فقتله رجل من كلب [٢] وذلك فى يوم الجمعة لاثنتى عشرة خلت من صفر سنة اثنتين ومائة[٣] فلما بلغ ولده معاوية وهو بواسط مقتل أبيه أخرج عدى بن أرطاه ومن كان معه فضرب أعناقهم ، وركب البحر حتى صار بمن كان من أهل بيته وأنصاره إلى قندابيل من أرض السند [٤] .

---

[١] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٦ صـ٥٩٢ ، ٥٩٣
ابن الأثير : الكامل : جـ٥ صـ٨٠
ابن خلدون : تاريخه جـ٣ صـ٩٨
محمود شيت خطاب : مجلة المجمع العلمى العراقى مجلد ٢٩ / ١٩٧٨ (مسلمة بن عبد الملك) صـ٧٨

[٢] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٦ صـ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧
ابن الأثير : الكامل جـ٥ صـ٨١،٨٢،٨٣

[٣] خليفة بن خياط : تاريخه صـ٣٢٥

[٤] خليفة بن خياط : تاريخه صـ٣٢٥
الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٦ صـ ٥٩٩ ، ٦٠٠
اليعقوبى : تاريخه جـ٢ صـ٣١١

وبهذه النتيجة التى رآها القارئ الكريم أسدل الستار على واحدة من الثورات التى شهدتها البصرة واكتوت بنارها على يد واحد من ولاتها فأخفقت مثل سابقتها فى تحقيق أهدافها التى مات فى سبيل نيلها زعيمها وإن أراد المرء التماس أسباب يعزو إليها إخفاق هذه الثورة فإنه يجدها تتلخص فيما يلى :-

١-إن يزيد بن المهلب حين خرج من محبس عمر بن عبد العزيز لم يكن يريد لنفسه قيادة ثورة وإنما كان يريد التماس ملجأٍ آمنٍ يحميه من بطش يزيد بن عبد الملك به ، فهو إذن قاد من البصرة ثورة كبرى فى وجه الدولة الأموية دون إعداد مسبق فرجل يقبل خوض مغامرة كهذه دون أن يحسب لها حساباً دقيقاً فإن الفشل أقرب إليه من النجاح .

٢-تعجل يزيد بن المهلب فى الحكم على يزيد بن عبد الملك فقد خرج عليه ولمّا يمض على خلافته سوى أيام قلائل فلو أنه جعل للحوار مجالاً لاستطاع به نيل مكانةً مرموقةً فى خلافته وآية ذلك هذا الأمان الذى بعثه الخليفة إلى الثائر فلو لم يكن يريد الحوار الذى يغنيه عن الحسام ما قبل الخليفة تأمين رجل خارج عليه .

٣-إن يزيد بن المهلب لم يحسن استقراء مواقف قادة الثورات السابقة عليه فى البصرة حتى يتلافى الوقوع فى ما وقعوا فيه مما كان السبب فى هزائمهم المتتالية على يد ولاة الدولة الأموية وقادتها فإن البصريين وغيرهم من العراقيين دأبوا الانفضاض عن قادتهم فى حومة الوغى فكأنهم يسلمونهم بإرادتهم مكتوفى الأيدى إلى أعدائهم حتى ينزلوا بهم ما يريدون من قتل أو حبس مثلما رأيته

متكرراً في قتال عبد الملك لمصعب بن الزبير ثم الحجاج مع ابن الجارود وكذلك ثورة ابن الأشعث .

٤-اعتزاز يزيد بن المهلب بنفسه والموروث التاريخي لعائلته جعله لا يحسن الإفادة من المحيطين به مع كونهم من أهل الخبرة مثلما رأيته من تشبسه برأيه في اختيار الخطة التي يحارب بها الجند الشاميين القادمين لحربه بقيادة مسلمة بن عبد الملك ، ليس هذا فحسب بل إنه جعل من نفسه نداً لرجلٍ هو ولي عهد دوله يقيم على أرضها فأغلظ الخطاب ليزيد بن عبد الملك بحضرة عمر بن عبد العزيز كما رأيت فيما سلف ، فرجل هذه شخصيته لا مراء يجعل غيره من أولي الأمر يتآزرون في سبيل القضاء على طموحاته وذلك ما كان عندما قرر يزيد بن عبد الملك إرسال الجيوش إليه لحربه .

٥-موقف الحسن البصري من الثائر كان له أثر على العراقيين الذين انضموا إلى يزيد بن المهلب فقاتلوا معه لا عن إيمان بمبادئ ثورته وإنما رغبةً في الحصول على الأموال التي كان يغدقها على أتباعه هنا وهناك .

والذي يدلك على صحة هذا الأمر أن البصريين انفضوا عن واليهم عدي ابن أرطاه حين لم يعطهم المال بالقدر الذي أعطاهم إياه يزيد بن المهلب ، ومن ثَمّ كان قتال أتباع يزيد معه قتال مرتزقة لا قتال أصحاب مبدأ .

وهذا ما جعلهم ينجون بأنفسهم عند نشوب القتال الحاسم ويفرون من الميدان في جماعات كالجبال .

ولقد أدرك يزيد بن المهلب مؤخراً هذه الحقيقة حين قال لجلسائه وهو يقارن بين أتباعه من البصرة وأهل العراق وبين قومه

بخراسان ترون أن فى هذا العسكر ألف سيف يضرب به ؟ قال حنظلة بن عتاب : إى والله وأربعة آلاف سيف ، قال : إنهم والله ما ضربوا ألف سيف قط ، والله لقد أحصى ديوانى مائة وعشرين ألفاً والله لوددت أن مكانهم الساعة معى من بخراسان من قومى [١].

ولقد دفع بعض هؤلاء ثمن فرارهم حين أسروا فقتل مسلمة ابن عبد الملك ثلاث مائة منهم فى يوم واحد وهم يقولون :

(إنا لله انهزمنا بالناس وهذا جزاؤنا)[٢]

٦-إن مسلمة بن عبد الملك تمكن من إحراز الانتصار على يزيد بن المهلب لأنه قاد جيشاً دان له بالولاء بخلاف يزيد بن المهلب فإن جيشه ضم كثيراً من الرجال الذين أبوا إلا التدخل فى كل ما يريد القائد فعله فى الأوقات الحاسمة فأدى ذلك التدخل إلى ضياع الفرصة على يزيد بن المهلب فى إحراز الإنتصار على مسلمة بن عبد الملك كما هو الحال حين حالوا بينه وبين مباغتته القائد الأموى وتبييته ليلاً بحجة أن الشاميين قبلوا تحكيم كتاب الله بينهم وبين العراقيين .

ولأن ابن المهلب كان فى وقت لا تغنى عنه فيه معارضة فقد قبل مرغماً هذا الرأى على الرغم من قوله لهم إنها خديعة خدع بها الشاميون العراقيين .

ولقد برهن على صحة رأيه للفل اليسير من أتباعه بعد فوات الأوان حين قال للسميدع أحد الأتباع المخلصين له وكان ممن

---

[١] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٦ صـ٥٩٢

[٢] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٦ صـ٥٩٩

عارضوه (يا سميدع أرأيى أجود أم رأيك ألم أعلمك ما يريد القــوم ، قال : بلى)[١] .

وعلى كل حال فإن مسلمة بن عبد الملك طفق يتعقب المهالبـــة بعد هزيمتهم فهاموا على وجوههم يطلبون النجاة بأماكن عدة فقتـــل منهم من قتل ، ونجا النذر اليسير منهم ومثـــل ذلــك نـــال أتباعـــهم وأشياعهم الذين وقعوا فى الأسر وكما كانت البصـــرة النقطـــة التـــى انطلقت منها الثورة فى بدايتها فإنها كانت كذلك المنطقة التى شـــهدت نهايتها حين أمتها جموع المهالبة المنهزمين فانطلقوا منـــــها علـــى السفن لينجوا من عقاب يزيد بن عبد الملك وأخيه مسلمة .

ولأن هذه الدراسة التى يطالعها القارئ الكريم تعنـــى بدراســـة ولاة البصرة وما حدث على أرضها فى ظلال حكمهم أو فى المنـــاطق التابعة لها فإنى أضرب صفحاً عن تتبع مآل كل واحـــد مـــن أبنـــاء المهلب بن أبى صفرة بعد هزيمة ولده يزيد عند العقر [٢].

ولقد عقب أحد الباحثين المحدثين على ثورة يزيد بن المـــهلب وما أصاب الدولة الإسلامية بسببها فعد انتصارها على الثائر وقتلـــها له خسارةً كبرى بالنظر إلى السلبيات التى خلفتها هذه الثـــورة علـــى الدولة فى المدى القصير والطويل (قد خسرت الدولة بالقضاء علـــى يزيد بن المهلب وبنى المهلب خيرة قادتها وأحسن جنودهمـــا وأقـــدر

---

(١)ابن الأثير : الكامل جـ٥ صـ٨٢

(٢)إذا ما أراد القارئ الكريم الوقوف على ما نزل بآل المهلب بعد الهزيمة يمكنه الرجوع إلى الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٦ صـ٥٩٧،٥٩٨،٥٩٩،٦٠٠،٦٠١،٦٠٢،٦٠٣

ابن الأثير : الكامل جـ٥ صـ٨٣،٨٤،٨٥

ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ٤ صـ٤٤٢،٤٤٣

ابن خلدون : تاريخه جـ٣ صـ٩٩،١٠١

أمرائها وولاتها وهى خسارة كبيرة بلا مراء وأدهى من ذلك وأمر أن الاقتتال الذى نشب بين الأخوة أدى إلى عداء عميق الجذور بين القبائل العربية فى العراق قاعدة الفتح الإسلامى المتقدمة ، مما أدى إلى انصراف الفاتحين عن الفتح إلى الاقتتال فيما بينهم ، فأصبحت طاقاتهم موجهة إلى أنفسهم بدلاً من توجيهها إلى أعدائهم ، فانحسر مد الفتح وتقلص نفوذ الدولة فى العراق وفارس وفى السند والأفغان وفيما وراء النهر ، وانتهز هذه الفرصة السانحة العباسيون للقضاء على الأمويين وأصبح دعاة بنى العباس يسرحون ويمرحون فى بلاد فارس بخاصة بحرية كاملة دون رقيب فعال وحسيب مؤثر . لذلك كان انتصار مسلمة فى هذا الاقتتال تعبوياً ولكنه كان هزيمة سوقية (استراتيجية) على المدى البعيد ، والانتصار التعبوى لا قيمة له بالنسبة للهزيمة السوقية كما هو معروف)[١] .

وعلى كل حال فإن يزيد بن عبد الملك سر سروراً شديداً بهذا الانتصار الذى أحرزه أخوه مسلمة على يزيد بن المهلب فكافأ عمر ابن هبيرة على بلائه فى هذه الحرب بأن أقطعه الإقطاعات[٢] أما أخوه فقد جعله والياً على العراق لتستقبل البصرة والياً جديداً بعد حكم يزيد بن المهلب لها أشهرا .

---

[١]محمود شيت خطاب : مجلة المجمع العلمى العراقى مجلد ٢٩ سنة ١٩٧٨ (مسلمة بن عبد الملك) صـ٨١ ، ٨٢

[٢]البلاذرى : فتوح البلدان جـ٢ صـ٤٥١

ولاية مسلمة بن عبد الملك على العراق

تولى مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموى أبو سعيد العراق بعد ثورة ابن المهلب وقد كان روى عن ابن عمه عمر ابن عبد العزيز ، وعنه روى أبو واقد صالح بن محمد الليثى وآخرون [١] .

نقل عنه ابن الجوزى مقولةً توضح للقارئ شخصية هذا الوالى القوى وهو يدبر أمره ثم شئون أتباعه بعدما آلت إليه قيادة الجيوش ثم ولاية العراق .

" ما لمت نفسى على خطأ افتتحته بحزم ولا حمدتها على صواب افتتحته بعجز [٢]

وعلى الرغم من قوة شخصية هذا الوالى فإنه لم يسرف فى استغلالها إلا حيث يكون ذلك مفيداً للدولة سواء أكان ذلك بالداخل أم بالخارج فإن مسلمة بن عبد الملك كره نهج نائبه الذى جعله على البصرة عبد الرحمن بن سليمان الكلبى عوضاً عن شبيب بن الحارث التميمى ذلك أن عبد الرحمن لما جاء إلى عمله أراد أن يستعرض أهل البصرة فيقتلهم فنهاه عمرو واستمهله عشرة أيام وكتب إلى مسلمة بالخبر ، فعزله وولى البصرة عبد الملك بن بشر بن مروان وأقر عمرو بن يزيد على الشرط والأحداث [٣].

---

[١] ابن حجر : تهذيب التهذيب جـ١٠ صـ١٤٤

الزبيرى : نسب قريش صـ١٦٥

[٢] ابن الجوزى : المنتظم جـ٤ صـ٦٩٠

[٣] ابن الأثير : الكامل جـ٥ صـ٨٩

ولقد أحسن الوالى صنعاً بعزل هذا النائب لأن الاستمرار فى إراقة دماء البصريين بعد ثورة ابن المهلب يؤدى إلى اضطراب الجبهة الداخلية واتساع نطاق العصبية القبلية ، وازدياد كراهية البصريين للعمال الأمويين .

فكانت الحكمة كما ترى تقتضى عزل هذا النائب عن المصر تلافياً لوقوع أحداث على أرضه تكلف الدولة المزيد من الأموال والرجال .

لم يبق يزيد بن عبد الملك طويلاً على عامله ببلاد العراق فاستبدل عمر بن هبيرة به ، ولعل الخليفة أراد من ولاية أخيه القصيرة على العراق تلك التى بدأت وانتهت فى سنة اثنتين ومائة التأكد من خضوع العراقيين للخليفة بعد ثورة ابن المهلب هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى إرضاء أخيه بعد الذى قدمه للخلافة من نصر عزيز على يزيد بن المهلب فلما رأى الخليفة أن آصرة الأخوة التى تربطه بعامله على العراق تحول بينه وبين محاسبة الوالى على إدارته لعمله بادر إلى استبدال آخر به حين استبطأ أخاه فى رفع حصار العراق .

وثمت سبب آخر عزا إليه بعض الرواة عزل مسلمة عن العراق يرجع إلى استغلال عمر بن هبيرة مكانةحبابة لدى الخليفة يزيد بن عبد الملك ، وقد كان ابن هبيرة يمنى نفسه بولاية العراق منذ زمن ، فلما ولى يزيد بن عبد الملك ورأى ابن هبيرة تحكم حبابة عليه تابع هداياه إليها وإلى يزيد بن عبد الملك ، فعملت له فى ولاية العراق فولاه يزيد ، وكان ابن هبيرة بينه وبين القعقاع بن خليد

العبسى تحاسد ، فقال القعقاع : من يطيق ابن هبيرة ، حبابة بـــالليل وهداياه بالنهار ، فلما ماتت حبابة قال القعقاع :-

هلم ماتــت حبابة سامنى   بنفســك يقدمك الذرى والكواهل
أغرك أن كانت حبابة مرةً   تحميك فانظر كيف ما أنت فاعل

وكان بينه وبين القعقاع يوماً كلام فأغلظ له القول وقال لـــه : من قدمك ، فقال : قدمك أنت وأهلك أعجاز الغوانى ، وقدمنى صـــدور العوالى فسكت القعقاع يعنى أن عبد الملك قدمهم لما تزوج إليهم فـإن أم الوليد وسليمان ابنى عبد الملك بن مروان عبسية [1] .

وكيفما كان السبب الذى عزل من أجله مسلمة عن العراق فـإن الرواة اختلفوا حول الكيفية التى علم بها الوالى خبر عزله.

فمنهم من قال إن الخليفة كتب لمسلمة كتاباً وهـــو بـــالعراق جاء فيه استخلف على عملك و أقبل[2]

و قيل غير ذلك فيذكر ابن الأثير أن مسلمة شاور عبد العزيـــز ابن حاتم بن النعمان فى الشخوص إلى يزيد ليزوره قال: أمن شـــوق إليه ؟ إن عهدك منه لقريب. قال لابد من ذلك . قـــال : إذاً لا تخـــرج من عملك حتى تلقى الوالى عليه ، فسار مسلمة فلقيه عمر بن هبـيرة الفزارى بالعراق على دواب البريد ، فسأله عن مقدمه ، فقال عمـــر : وجهنى أمير المؤمنين فى حيازة أموال بنى المهلب ، فلما خرج مـــن عنده أحضر مسلمة عبد العزيز بن حاتـــم و أخبـــره خبـــر ابـــن

---

[1] ابن الأثير : الكامل جـــ٥ صـــ٩٩،١٠٠
[2] ابن الأثير : الكامل جـــ٥ صـــ٩٧

هبيرة ، فقال قد قلت لك قال مسلمه : فإنه جاء لحيازة أموال آل المهلب. قال هذا أعجب من الأول ، يكون ابن هبيرة على الجزيرة فيُعزل عنها و يبعث لحيازة أموال بنى المهلب و لم يكتب معه إليك كتاب فلم يلبث حتى أتاه عزل ابن هبيرة عما له و الغلظة عليهم [١]

و كيفما كان فإن الرجل ظل فى خدمة الدولة بعد عزله عن بلاد العراق حيث إنه كان يحظى باحترام الأمويين و كان من الممكن أن يكون من الرجال المرشحين للخلافة لولا أنه من أم و لد.

و توفى الوالى المذكور فى سنه اثنتين و عشرين و مائه[٢]

[١] ابن الأثير : الكامل جـ ٥ صـ ٩٨
[٢] ابن الجوزى : المنتظم جـ ٤ صـ ٦٩٠

ولاية عمر بن هبيرة على العراق

تمهيد :-

الدارس لولاة البصرة يجد أن المصر بعد رحيل مسلمة بن عبد الملك عن العراق أخذ دور أهله يتلاشى فى التأثير على الأحداث السياسية الداخلية بالدولة الأموية فلم تعرف أرض البصرة بعد ثورة يزيد بن المهلب ثورةً حشدت لها الدولة الأموية رجالها و أنفقت عليها أموالها مثلما كانت الحالة فى خراسان و غيرها من حواضر الدولة الإسلامية إذ ذاك ، وتلك سمة ميزت عهود رجال تعاقبوا على ولايتها من خلال حكمهم لبلاد العراق فطالت مدة حكم معظمهم لبلاد العراق والرجال الذين جعلوهم على البصرة لحكمها نيابةً عنهم لم يكن بينهم و بين أهلها ما يجعل المصادر الأصيلة للتاريخ الإسلامى تعنى بذكرهم وعلاقاتهم بأهل مصرهم .

و من ثَم فإن القارئ الكريم سوف لا يرى فيما يلى من صفحات الدراسة إلا ترجمةً موجزةً لرجالٍ تولوا ولاية العراق من سنة اثنتين و مائة إلى سنة اثنتين و ثلاثين و مائة للهجرة الغاية منها وقوف القارئ على بداية و نهاية حكم كل واحد منهم حتى يكون على بينة من أمره وهو يحكم على هؤلاء الولاة أولهم فإنهم فيما أظن أسهموا بطريق مباشر أو غير مباشر فى زعزعة الاستقرار فى الدولة الأموية ، ومن ثُم إتاحة الفرصة لنشر الدعوة العباسية .

و أول هؤلاء الولاة عمر بن هبيرة الأمير أبو المثنى الفزارى الشامى[١] قدم من البادية مع قومه ، و شارك فى غزو الروم مع عمرو بن معاوية العقيلى ، أقطعه عبد الملك إقطاعاً بعدما سيره الحجاج إليه و أثنى عليه لقتله مطرف بن المغيرة بالرى ، و كان خرج على الحجاج بهذا الإقليم ، و لما شجر بين عمر بن هبيرة و الحجاج خلاف بسبب أموال أخذها الأول بغير حق من الوالى لاذ بعبد الملك بن مروان و سأله أن يؤمنه من الحجاج حتى لا يقتله بابن عمه مطرف فأمنه عبد الملك [٢]

ولقد رأى القارئ الكريم فيما سبق الوسيلة التى سلكها عمر بن هبيرة للحصول على ولاية العراق من يزيد بن عبد الملك مما يجعل المرء يظنه واحداً من هؤلاء الانتهازيين الذين أخذوا يكثرون فى العقود الثلاثة الأخيرة من عمر الدولة الأموية .

و على كل حال فإن الرجل ظل على بلاد العراق حتى توفى يزيد بن عبد الملك لخمس بقين من شعبان سنة خمس و مائه [٣] وجاء هشام بن عبد الملك [٤] إلى الخلافة فعزل عمر عن العراق بخالد ابن عبد الله القسرى .

---

(١) الذهبى : سير أعلام النبلاء جـ ٥ صـ ٤٥٥

(٢) ابن الأثير : الكامل جـ ٥ صـ ٩٨، ٩٩

(٣) العمرانى : الانباء فى تاريخ الخلفاء صـ ٥١

السيوطى : تاريخ الخلفاء صـ ٢٤٧

(٤) أبو الوليد هشام بن عبد الملك بن مروان أمه أم هاشم فاطمة بنت هشام المخزومى بويع له بعهد أخيه إليه لخمس بقين من شعبان و سنة خمس ومايه . ونقش خاتمة " الحكم للحكم الحكيم " استمرت خلافته تسع عشره سنه و سبعه أشهر و أحد عشر يوماً توفى بالرصافة لست خلون من ربيع الأول سنه خمس و عشرين و مايه

القضاعى : الإنباء بأنباء الأنبياء صـ ٢٣٦

ولاية خالد على العراق

و ثانى الولاة الذين تعاقبوا على العراق فى هذه الحقبة التـــى أشرت إليها أبو يزيد و أبو الهيثم خالد بن عبد الله بن يزيد بن أســد ابن كرز البجلى القسرى ولد من أم نصرانية و جد صحب رســول الله – صلى الله عليه وسلم – تولى حكم مكة للأمويـــين ســنة تســع وثمانين للهجرة [١] و لم يعزل عنها إلا حين ولاه هشام بن عبد الملـك العراق سنة ست و مائة [٢] روى عن أبيه عن جــده ، و روى عنــه إسماعيل بن أبى خالد و حميد الطويل و غيرهما [٣]

و لما وصل خالد إلى عمله صرف جُل همه فى بداية عهده إلــى القبض على سلفه عمر بن هبيرة فقيده و ألبســه عبــاءة و ســجنه فتحيل غلمانه و نقبوا سرباً أخرجوه منه ، فهرب و استجار بــالأمير مسلمة بن عبد الملك فأجاره حتى مات عمر[٤] و خالد القسرى مــن الرجال الذين اختلف فى الحكم عليهم العلماء المعاصرون لــهم فقـد ذمه كثيرون منهم و نسبوا إليه أفعالاً شنيعةً [٥] لا تتسع الدراسة إلى

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ صـ ٢٢٦
(٢) الذهبى : سير أعلام النبلاء جـ ٣ صـ ١٠١
(٣) ابن قتيبة : المعارف صـ ٣٩٨، ٣٩٩
ابن حجر : تهذيب التهذيب جـ ٣ صـ ١٠١
(٤) الذهبى : سير أعلام النبلاء جـ ٦ صـ ٤٥٥
(٥) الذهبى : سير أعلام النبلاء جـ ٦ صـ ٢١٥
ابن حجر : تهذيب التهذيب جـ ٣ صـ ١٠٢

تفصيلها و قليل منهم من أثنى عليه و قبل الرواية عنه[١]

و على كل حال فإن خالداً القسرى ظل يدبر بلاد العراق لهشام ابن عبد الملك حتى عزله بيوسف بن عمر الثقفى فى جمادى الأولى سنه عشرين و مائة[٢] ولقد اختلفت الروايات فى سبب عزله فمنها ما ذكر أن حسان النبطى وهو من عمال خالد القسرى وأصفيائه لما أنزل به الوالى عظيم عقابه دس النبطى على الخليفة خادماً من خدامه وقال له إن تكلمت بكلمة أقولها لك حيث يسمع هشام ، فلك عندى ألف دينار، قال فعجل لى الألف وأقول ما شئت فعجلها له وقال له : بكّ صبياً من صبيان هشام فإذا بكى فقل له اسكت والله لكأنك ابن خالد القسرى الذى غلته ثلاثة عشر ألف ألف ، فسمعها هشام فأغضى عليها. ثم دخل عليه حسان بعد ذلك ، فقال له هشام : ادن منى فدنا منه ، فقال كم غلة خالد ؟ قال ثلاثة عشر ألف ألف قال فكيف لم تخبرنى بهذا ! قال وهل سألتنى ؟ فوقرت فى نفس هشام فأزمع على عزله [٣].

ومنها ما ذكر أن هشاماً عزله لما نمى إلى علمه أن خالداً يذكر الخليفة بأمه فكان يقول عنه فى مجلسه ابن الحمقاء ، وغير ذلك من الراويات التى أتى الطبرى وغيره على ذكرها [٤].

وكيفما كان السبب فإن خالداً القسرى عزل بيوسف بن عمر الثقفى .

---

[١] الذهبى : سير أعلام النبلاء جـ ٦ صـ ٢١٢

[٢] ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ صـ ٢٢٩

[٣] الطبرى: تاريخ الرسل والملوك جـ٧ صـ١٤٣

[٤] يمكن للقارئ الكريم إن هو أراد الوقوف على تفاصيل الروايات المتعددة التى ذكرت سبب عزل هشام لخالد القسرى عن العراق مطالعة :
تاريخ الرسل والملوك جـ٧ صـ ١٤٢ : ١٤٧
ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٢ صـ ٢٢٩
الذهبى: سير أعلام النبلاء جـ ٦ صـ ٢١٥

ولاية يوسف بن عمر العراق

أما ثالث الولاة الذين تولوا العراق فهو أبو عبد الله يوسف ابن عمر بن محمد بن الحكم بن أبى عقيل بن مسعود الثقفى [١]. ولاه هشام بن عبد الملك اليمن فى سنة ست ومائة ولم يعزله عنها إلا حين ولاه العراق سنة عشرين ومائة [٢].

والجدير بالذكر أن عزل خالد عن العراق بعد هذه المدة الطويلة التى انقضت على حكمه للبلاد لم يكن بالأمر الهين ، وآية ذلك هذه التعمية الشديدة التى لجأ إليها هشام بن عبد الملك عندما أراد عزل خالد بيوسف بن عمر ذلك أن هشاماً حين جاءه رسول يوسف الثقفى من بلاد اليمن دعاه إليه وقال له : إن صاحبك قد تعدى طوره وسأل فوق قدره وأمر بتخريق ثيابه وضربه أسواطاً وقال له : امض إلى صاحبك ، فعل الله به وصنع ، ودعا بسالم اليمامى مولى سالم ابن عنبسه بن عبد الملك وكان على ديوان الرسائل وقال له : اكتب إلى يوسف بن عمر بشئ أمره به واعرض الكتاب علىّ ، فمضى سالم ليكتب ما أمره به ، وخلا هشام بنفسه ، وكتب كتاباً صغيراً بخطه إلى يوسف بن عمر وفيه : سر إلى العراق فقد وليتك إياه ، وإياك أن يعلم بك أحد واشفنى من ابن النصرانية ، يعنى خالداً ، ومن عماله [٣].

---

[١] ابن قتيبة : المعارف صـ ٣٩٨
ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٧ صـ١٠١
[٢] ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٧ صـ١٠١
[٣] ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ٧ صـ ١٠١ ، ١٠٢

جاء يوسف بن عمر إلى العراق وليس له من هم إلا القضاء على نفوذ سلفه خالد القسرى فبذل قصارى جهده حتى تمكن من إلقاء القبض عليه فلما تم له ما أراد أخذ خالداً وعماله وحبسه وحاسبه وعذبه ، ثم قتله فى أيام الوليد بن يزيد[1] قيل : إنه وضع قدميه بين خشبتين وعَصَرهما حتى انقصفا .

، ثم رفع الخشبتين إلى ساقيه وعصرهما حتى انقصفا ، ثم إلى وركيه ، ثم إلى صلبه، فلما انقصف صلبه مات وهو فى ذلك كله لا يتأوه ولا ينطق ، وكان ذلك فى المحرم سنة ست وعشرين ، وقيل فى ذى القعدة سنة خمس وعشرين ومائة بالحِيرَة ، ودفن فى ناحية منها ليلاً[2] فى هذا الوقت الذى قتل فيه خالد أخذت الأمور فى الدولة الأموية تزداد اضطراباً

---

[1]هو أبو العباس الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ، وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف أخى الحجاج بن يوسف الثقفى ، بويع له فى شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة ، وما ولى من ولد عبد الملك أكبر منه لأنه ولى وقد جاوز الأربعين نقش خاتمه " يا وليد احذر الموت " ، سار إليه ابن عمه يزيدابن الوليد بن عبد الملك فقتله فى يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين بالبخراء وله اثنتان وأربعون سنة .

القضاعى : الإنباء بأنباء الأنبياء صـ ٢٣٩ : ٢٤١ .

[2]ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٢ صـ٢٢٩

ابن حجر : تهذيب التهذيب جـ٣ صـ١٠٢

بعد ما قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك وجاء إلى الخلافة[١] يزيد ابن الوليد (الناقص)[٢] الذى عزل يوسف بمنصور بن جمهور .

والأخير خافه يوسف خوفاً شديداً ففر من عمله هائما على وجهه وهو يلاحق من جند الوالى وخليفته حتى قبض عليه يزيد فبقى فى الحبس ولاية يزيد وشهرين وعشرة أيام من ولاية إبراهيم ، فلما قرب مروان من دمشق ولى قتلهم يزيد بن خالد القسرى مولى لأبيه خالد يقال له أبو الأسد [٣].

أما الوالى الرابع منصور بن جمهور فإن الخليفة يزيد بن الوليد جعله على العراق بسبب مواقفه الحسنة عندما قتل الوليد ابن يزيد ويقال أنه ولاه بسبب أنه لما فرغ الناس من الوليد ذهب من فوره إلى العراق فأخذ البيعة من أهلها إلى يزيد ، وقرر بالأقاليم نواباً وعمالاً وكر راجعاً إلى دمشق فى آخر رمضان سنة ست وعشرين ومائة[٤] لم تطل ولاية منصور بن جمهور على العراق فقد عزله يزيد

---

[١] ابن قتيبة : المعارف صـ٣٦٧

[٢] أبو خالد يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، وأمه شاهفريد بنت فيروز بن يَزْدَجِرْد بن شهريار بويع له لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين وماية ، نقش خاتمه " يزيد قم بالحق " ، توفى بعد الأضحى بالطاعون وله أربعون سنة وذلك سنة ست وعشرين وماية .

القضاعى الإنباء بأنباء الأنبياء صـ٢٤٢ :٢٤٣ .

[٣] ابن الأثير : الكامل جـ٥ صـ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧

ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٠ صـ١٤

ابن خلدون : تاريخه جـ٣ صـ١٣٦ ، ١٣٧

[٤] ابن الأثير : الكامل جـ٥ صـ٢٩٧

ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٠ صـ١٤

بن الوليد عنها بعد شهرين[١] من ولايته لها بعبد الله بن عمر ابن عبد العزيز الذى كان منعوتاً بالشجاعة واحتفر نهر ابن عمر بالبصرة والوالى المذكور حظى بحب أهل المصر له حتى أنهم أرادوا مبايعته بالخلافة بعد يزيد بن الوليد[٢] إلا أن ذلك لم يتحقق لأهل البصرة.

ولعل السبب الذى جعل الخليفة يعمد إلى عزل منصور وتولية عبد الله بن عمر بن عبد العزيز راجع إلى أن الخليفة أدرك أن واليه على العراق ليس بالرجل الذى تحمد سيرته ولا هو بالذى يستطيع سياسة أهل البلد ناهيك عن كون الخليفة شخصياً ممن لم ترض عن خلافته معظم الرعية فأراد أن يثبت لهم نقيض ما علموه عنه فاختار لهم واحداً من الرجال المشهود لهم بالصلاح هو عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والذى يدلك على وجود هذا الشعور عند الخليفة قوله له لما ولاه : سر إلى العراق فإن أهله يميلون إلى أبيك . فلما وصلها تسلم البلد من منصور بن جمهور وأنشأ يعين العمال على الأعمال مراعياً فى ذلك رأب الصدع الذى كان تسبب فيه منصور بن جمهور لما آل إليه أمر البلد فقد أبقى على نصر بن سيار فى عمله بخراسان وكان منصور بن جمهور عزله عنها[٣] ووزع الأعطيات على الرعية.

---

(١) ابن خلدون : تاريخه جـ٣ صـ١٣٧

(٢) القضاعى : الإنباء بأنباء الأنبياء صـ٢٣١

(٣) خليفة بن خياط : تاريخه صـ ٣٨٢

ابن الأثير : الكامل جـ٥ صـ٣٠٢

ابن الوردى : تاريخه جـ١ صـ١٧٧

وتختم صفحات ولاة الدولة الأموية بآخر ولاتها على العراقين يزيد بن هبيرة الذى ولاه مروان فإن هذا الرجل جاء فى وقت استغلظ فيه عود دعاة العباسيين فأنشأوا يحوزون المصر تلو الآخر فلما استولوا على الكوفة بعث قائدهم حميد بن قحطبة رجاله لحكم المناطق المجاورة لها ومنهم بسام بن إبراهيم بن بسام على الأهواز فلما طرد عنها عبد الواحد بن عمر بن هبيرة عامل يزيد بن هبيرة بها شخص بسام ببصره إلى البصرة بقصد الاستيلاء عليها فسير إليها سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب فلما وصلها سفيان كتب إلى سلم بن قتيبة الباهلى عامل البصرة من قبل يزيد بن هبيرة يطلب منه التحول من دار الإمارة فامتنع عامل البصرة من تسليم عمله إلى سفيان بن معاوية وتأهب لخوض معركة ضد العباسيين على أرض البصرة يحدد بها مصير الأمويين ونادى مناديه فى البصريين من جاء برأس فله خمسمائة ، ومن جاء بأسير فله ألف درهم ، فلما قتل معاوية (ابن القائد العباسى) وجاءوا برأسه إلى سلم أجاز قاتله بعشرة آلاف درهم.

ولم يزل سلم بالبصرة حتى أتاه قتل ابن هبيرة ، فشخص عنها ، واجتمع من بها من ولد الحارث بن عبد المطلب إلى محمد ابن جعفر فولوه أمرهم ، فوليهم أياماً يسيرة حتى قدم البصرة أبو مالك عبد الله بن أسيد الخزاعى من قبل أبى مسلم . فلما قدم أبو العباس ولاها سفيان بن معاوية[1] من قبله لتبدأ المدينة عهداً جديداً تحت حكم العباسيين .

---

[1] ابن الأثير : الكامل جـ٥ صـ٤٠٤ : ٤٠٧

وبذلك تطوى صفحة ولاة المروانيين على البصرة بما فيها من أحداث كان لها عظيم الأثر على مجريات الأمور فى الدولة الإسلامية فقد رأى القارئ البصرة تعيش عهداً حكمها فيه الزبيريون الذين آلوا على أنفسهم مصارعة المختار بن أبى عبيد فلما فرغوا منه جابهوا الأمويين الذين نجحوا فى ادالة حكم الزبيريين بها ، وكان من المأمول أن يستريح البصريون من عناء الصراعات الداخلية بعد أيلولة أمرهم إلى الدولة الأموية إلا أن تلك الآمال قد تلاشت فقد شاركوا فى صراعات أدهى وأمر من تلك التى اصطلوا بنارها أيام الزبيريين كان أعظمها الذى وقع فى زمن الحجاج فإن هذا الوالى حكمهم عشرين عاماً قضى معظمها فى إخماد ثورات قامت فى وجهه مثل ثورة ابن الجارود وابن الأشعث ناهيك عن مواجهته للخوارج ، وأنت خبير فى أن ثورات وحركات كهذه لا مراء تزهق الأرواح وتذهب الأموال وتجعل أولى الأمر يغفلون عن المضى قدماً فى مجاهدة الأعداء المتربصين بحضور الدولة الأموية ، وذلك لا يعنى أن الحجاج قد قضى مدة حكمه هذه دون أن يولى الناحية الإدارية والعمرانية عنايته فإن البصرة وغيرها من بلاد العراق عرفت إصلاحات إدارية ومالية فقد أنشأ الحجاج العملة المكتوب عليها بالعربية والتى نقشها (الله أحد الله الصمد)[١] وشهدت البصرة مشاريع زراعية فى عهد هذا الوالى الذى كان يقطع الأرض لبعض قادته وهؤلاء بدورهم يحفرون الأنهار لجلب الماء إليها .

[١] القضاعى : الإنباء بأنباء الأنبياء صـ ٢١٨

ولقد توج هذا كله بانشائه مدينة واسط مما يجعل المرء يجزم بأن هذا الوالى نجح نجاحاً عظيماً فى قيادة العراقيين طيلة هذه المدة الطويلة [١].

وسواء أصحت نعوت القدامى والمحدثين له بالقوة والجبروت وجب سفك الدماء وما إلى ذلك من الفسق والفجور والمروق عن الدين أم لم تصح فإن الرجل جاء إلى بلد أهله جبلوا على الثورات وحياكة المؤامرات على ولاتهم فلو لم يستخدم فيهم الشدة ما استطاع حكمهم بل ما تمكن الأمويون من السيطرة على هذه البلاد ، فإن الحجاج وبحق مهد الأمر فى بلاد العراق للولاة اللاحقين له .

ولقد كان عدى بن أرطاه من الولاة الذين أعقبوا الحجاج فى حكم البصرة وهذا الرجل قامت فى عهده ثورة كبرى قادها واحد من ولاة المصر السابقين على عدى بن أرطاه فهو بأهله خبير بالإضافة إلى أنه ينتمى إلى أسرة لها فى الحقبة التاريخية التى تتناولها الدراسة أثر عظيم فأبوه خضض شوكة الخوارج الأزارقة كما رأى القارئ الكريم .

وها هو ذا ابنه يزيد قد ولى البصرة ثم قاد ثورةً على واليها عدى بن أرطاه بعد ما تقلبت به الأيام فجعلت شمسه بين بزوغ وغروب فكان يزيد بن المهلب وبحق نموذجاً يحتذى به البواسل من

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ق٢ صـ٤٤٣
الخضرى : محاضرات فى تاريخ الدولة الأموية صـ٥٦٧ .
فلهوزن : تاريخ الدولة العربية صـ٢١٠ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٧٠
د/ عبد الشافى عبد اللطيف:العالم الإسلامى فى العهد الأموى صـ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥

الرجال فقد رآه القارئ الكريم يبعث الأمل فى نفسه غير مـــرة بعد مواقف لو وقعت لغيره لأماتت فيهم الرغبة فى الحياة فما بالك بآمال كان الرجل يمنى نفسه بها عند كل موقف من هذه المواقـف لتدفعه إلى مصاف عظماء عصره فى الدولة الأموية فقد رآه القارئ الكريـم يجزل عطاياه بشكل فاق به الخلفاء ويكلم يزيد بن عبد الملك بأسلوب ينم عن ثقته بنفسه وأنه إن لم يفق ولى العـهد فـى مكانتـه فإنـه يساويه ، والجدير بالذكر هنا أن عدى بن أرطاه ويزيد بـن المـهلب كليهما أخطأ فى حق أتباعه فالأول رفض سعى الساعين بالصلح بينه وبين يزيد حين جاءه بأتباعه إلى البصرة دون استقراء لطبيعة أهـل المصر الذى يحكمه والوقوف على الإمكانيات التى يستطيع بها ومـن خلالها المحافظة على ولايته ومن ثمّ القضاء على ثـورة يزيـد بـن المهلب .

وثانيهما يلام لأنه جاء إلى مصر هو أعلم الناس بطبيعة رجالـه وأنهم لا يثبتون على حال مع قائد يتولى أمرهم فى ثورة من الثورات وحسب القائد يزيد بن المهلب ما كان منهم مع ابن الأشعث الذى لـم يفصل بينه وبين ثورته إلا زمن يسير ، كما أن يزيد بن المهلب يـلام على عدم منح نفسه الوقت الكافى ليرتب أمر البلاد التى حازها ليفيـد أكثر فأكثر من إمكانياتها ليس هذا فحسب بل لأنه تعجل الخروج علـى يزيد بن عبد الملك دون أن يرى منه أمراً ينم عن عدواته له ورغبتـه فى استئصال شأفته ، صحيح أن أسباباً وأقوالاً جعلت سماء العلاقـات بين الرجلين ملبدة بالغيوم قبل أيلولة الخلافة إلى يزيد بن عبد الملـك لكن الحقيقة التى لا مرية فيها هى أن الرجل فى نظرته للأمور بعـد تولية المنصب تختلف تمام الاختلاف عنها قبله وإلا مـا بـادر

يزيد بن عبد الملك بالاستجابة إلى سفارة حميد بن عبد الملك أبن المهلب حين جاءه يطلب الأمان لعمه يزيد بن المهلب .

ولقد دفع الرجلان عدى بن أرطاه ويزيد بن المهلب حياتهما ثمناً لهذه المواقف التى وقفاها على أرض البصرة تلك التى جانبهما الصواب فى معظمهما .

والفضل فى القضاء على ثورة يزيد بن المهلب يرجع إلى حُسن تدبير مسلمة بن عبد الملك لأمور رجاله فإن الرجل أثنى عليه الدينورى بقوله : " كان مسلمة ذا عقل كامل وأدب فاضل "[١].

ومع هذا الثناء فإن الخليفة يزيد بن عبد الملك حين جعل إليه بلاد العراق بعد القضاء على ثورة يزيد بن المهلب عزله عنها بعد شهرين دون سبب يمكن للمرء أن يبرر به موقف الخليفة من أخيه فى بلاد العراق فذهبت الروايات التاريخية مذاهب شتى وهى تبرر لموقف الخليفة من أخيه .

والذى أراه أن هذه التبريرات جميعها تجعل الدارس لتلك الحقبة يجزم بضعف الخليفة وعجزه عن تدبير أمور دولته فما قاله المؤرخون عن عدم دفع مسلمة خراج قضاء العراق إلى الخليفة أمر لا يتصور قبوله فالرجل لم يمكث فى ولايته سوى شهرين فقط وجاءها عقب ثورة زلزلت أركان بلاد العراق فكيف يتسنى له جمع

---

[١] الدينورى : الأخبار الطوال : صـ٣٣٢ .

الخراج فى هذه المدة الوجيزة ورفعه إلى حاضرة الخلافة فلا يبقى أمام الدارس والحالة هذه إلا أن يأخذ برواية نفوذ حبابة على يزيد بن عبد الملك ورجل يقود دولة بنفوذ محبوبته ولا يقيم وزناً لمصلحة دولته لهو بحق أبعد ما يكون عن النهوض بالخلافة ورعاية شئون الدولة فى هذا الظرف الدقيق الذى نشط فيه دعاة العباسيين فى أقاليم الدولة الأموية .

وولاة البصرة منذ تولاها عمر بن هبيرة حتى آخر ولاة الأمويين عليها يزيد بن عمر بن هبيرة شغلوا عن رعاية أهلها بالعصبية القبلية التى جعلت كل واحد منهم يعمد إلى القبض على سلفه وتصفية أمواله وقتله فزاد ذلك من العصبية القبلية بين القيسية واليمنية وغيرهما من القبائل الضاربة فى البصرة فمال بعضها إلى العباسيين فكانوا عوناً لهم على آخر ولاة الأمويين بالعراق يزيد ابن هبيرة .

ولقد رأى القارئ الكريم ما فعلته العصبية بالبصرة فى عهد سلم بن قتيبة عندما أرسل العباسيون سفيان بن معاوية بن يزيد ابن المهلب ليتسلم البلد من عامل ابن هبيرة والى الأمويين فنزل بالأزد نتيجة لذلك ما نزل من هتك للأعراض ونهب للأموال ، وقبيلة الأزد كانت بالأمس القريب مشايعة للأمويين حين استطاع زعيمها المهلب التصدى للخوارج.

وكذلك كان بنوه يزيد وعبد الملك وغيرهما وليس هنـــاك مـــن مبرر معقول يبرر به الباحث تحول آل المهلب وقبيلتـــــهم الأزد عـــن الأمويين إلا رغبتهم نيل وتر يزيد بن المهلب وآله من الأمويين،

وتلك كانت من أهم النتائج التى ترتبت علي ثورة يزيد ابـــــن المهلب.

وبعد فإنى أسأل الله جل علاه أن يجعل هذه الدراسة خالصـــةً لوجهه الكريم وأن يجعلها نافعةً للاحقين الراغبين فى دراسة التاريخ الاسلامى

والله ولى التوفيق

عليه توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير

د / محسن سعد عبد الله

أستاذ التاريخ الإسلامى

المساعد بكلية اللغة العربية

جامعة الأزهر

فرع المنصورة

الخميس : ٩ من ذى القعدة ١٤١٩

٢٥ / فبراير ١٩٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

ثبت المصادر والمراجع

١-القرأن الكريم

أحمد عطية الله

٢-القاموس الإسلامى

نشر مكتبة النهضة المصرية ط ١٩٦٣

عدد الأجزاء ٥ أجزاء

ابن الأثير : عز الدين أبى الحسن علي بن محمد الجزرى ت٦٣٠

٣-الكامل فى التاريخ

ط دار صادر بيروت ١٩٧٩

عدد الأجزاء ١٣ جزء

٤-أسد الغابة

ط مجددة إشراف مكتب البحوث والدراسات

دار الفكر ١٩٩٥

عدد الأجزاء ٦ أجزاء

ابن اعثم الكوفى : العلامة أبى محمد ت نحو

٣١٤ هـ ، ٩٢٦م

٥- الفتوح

ط الأولى

عدد الأجزاء ٨ أجزاء

البلخى : ابى يزيد أحمد بن سهل ت ٥٠٧هـ
٦- البدء والتاريخ
٢ مجلد × ٦ جزء
البلاذرى : أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩ هـ
٧- فتوح البلدان
نشر وتحقيق
د / صلاح المنجد
ط ١٩٥٦م
ابن الجوزى : جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن علي
ت ٥٩٧هـ
٨- المنتظم فى تواريخ الملوك والأمم
تحقيق د / سهيل زكار
ط ١٩٩٥
عدد الأجزاء ١٣ جزء
ابن حجر : الإمام شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن علي بن حجر
العسقلانى ت ٨٥٢هـ
٩- تهذيب التهذيب
ط دار الكتاب سنه ١٣٢٥ هـ
حسن إبراهيم حسن
١٠- تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى
ط مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٩
عدد الأجزاء ٣ أجزاء
الخضرى : الشيخ محمد بك

١١- محاضرات فى تاريخ الأمم الإسلامية

الدولة الأموية

تحقيق الشيخ محمد العثمانى دار القلم / بيروت - لبنان

ط الأولى ١٩٨٦م

ابن خلدون : عبد الرحمن المغربى ٧٣٢ ، ٨٠٨ هـ

١٢-تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر راجعها وظبطها ووضع الحواشى والفهارس لها

أ / خليل شحادة

سهيل زكار

ط الثالثة ١٩٩٦

عدد الأجزاء ٨ أجزاء

ابن خلكان : أبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر ٨٠٦ - ٨٨١ هـ

١٣- وفيات الأعيان وإنباء أنباء الزمان

تحقيق : احسان عباس

دار صادر بيروت الأجزاء ٨ أجزاء (بدون)

خليفة بن خياط العصفرى ت-٢٤٠ هـ .

١٤- تاريخة

تحقيق أكرم ضياء العمرى

دار طيبة للنشر والتوزيع

ط الثانية ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م

الدينورى : أبى حنيفة أحمد بن داوذ الدينورى ٢٨٢ هـ

١٥- الأخبار الطوال

تحقيق عبد المنعم عامر

مراجعة د / جمال الدين الشيال

الذهبى : الإمام شمس الدين محمد بن أبى أحمد بن عثمان ٧٤٨هـ

١٦- سير أعلام النبلاء

تحقيق محب الدين أبى سعيد عمر بن غرامة العمروى

دار الفكر بيروت – لبنان

ط الأولى ١٩٩٧م عدد الأجزاء ١٧ جزء

١٨- العبر فى خبر من غبر

حققه وضبطه على مخطوطتين

أبو هاجر محمد محمد السعيد بن بسيونى زغلول دار الكتب العلمية

بيروت – لبنان

عدد الأجزاء ٣ أجزاء (بدون)

الزبيرى : أبى عبد الله المصعب بن عبد الله بن مصعب ١٥٦ ، ٢٣٦

١٩- نسب قريش

عنى بنشرة لأول مرة وتصحيحه والتعليق عليه

أ ليفى بروفنسال

ط الثالثة / دار المعارف

ابن سعد : محمد بن منيع الهاشمى البصرى ت ٢٣٠ هـ

٢٠- الطبقات الكبرى

دراسة وتحقيق : محمد عبد القادر عطا

ط دار الكتب العلمية بيروت – لبنان

عدد الأجزاء ٨ أجزاء (بدون)

السيوطى: الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر

ت ٩١١ هـ

٢١- تاريخ الخلفاء

تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد

ط : الأولى : ١٩٥٢م

الطبرى : أبى جعفر محمد بن جرير ٣١٠ هـ

٢٢تاريخ الرسل والملوك

تحقيق :محمد أبو الفضل ابراهيم

ط الرابعة دار المعارف القاهرة

عدد الأجزاء ١٠ أجزاء

ابن عبد ربه : أبى عمر أحمد بن محمد الأندلسى

٢٣- العقد الفريد ط الأولى ١٩٨٢ م

عدد الأجزاء ٧ أجزاء

عبد الشافى محمد عبد اللطيف

٢٤- العالم الإسلامى فى العصر الأمو ى

ط الأولى ١٩٨٤م

أبو العرب التميمى ت ٣٣٣هـ

٢٥- كتاب المحن

تحقيق : يحيى وهيب الجبورى

دار الغرب الإسلامى بيروت – لبنان

ط الثانية ١٩٨٨م

العمرانى : محمد بن على بن محمد ت ٥٨٠ هـ

٢٦ – الإنباء فى تاريخ الخلفاء

تحقيق وتقديم

د/ قاسم السامرائى

دار الآفاق العربية – القاهرة

ط الأولى ١٩٩٩م

أبو الفدا : المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب ٧٣٢ هـ

علق عليه ووضع حواشيه / محمود ديوب

٢٧– المختصر فى أخبار البشر دار الكتب العلمية بيروت – لبنان

٢ جزء ١٩٩٧

ابن قتيبة : أبى محمد عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦ هـ

٢٨– المعارف

حققه وقدم له د / ثروت عكاشة

ط / السادسة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢م

القضاعى : القاضى أبى عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي ت ٤٥٤ هـ

٢٩– الإنباء بأنباء الأنبياء وتواريخ الخلفاء وولايات الأمراء

تحقيق : أ / د عمر عبد السلام تدمرى

المكتبة العصرية صيدا – بيروت

ط الأولى ١٩٩٨م

ابن كثير : أبى الفدا الحافظ ت ٧٧٤ هـ

٣٠– البداية والنهاية

طبعة جديدة منقحة ١٩٧٨م

دار الفكر – بيروت

عدد الأجزاء ١٤ جزء

محمود شيت خطاب

٣١- مسلمة بن عبد الملك بن مروان

فاتح شطر الأناضول ومحاصر القسطنطينية

مجلة المجمع العلمى العراقى / مجلد ٢٩ – ١٩٧٨م

ابن منظور : محمد بن مكرم الأنصارى ٧١١ هـ

٣٢- لسان العرب

تحقيق : عبد الله علي الكبير

محمد أحمد حسب الله

هاشم محمد الشاذلى

ط / دار المعارف

النويرى : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى

٦٧٧ ، ٧٣٣ هـ

٣٣ – نهاية الأرب

تحقيق : محمد جابر عبد العال

إبراهيم مصطفى

الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤ م

ابن الوردى : زين الدين عمر بن مظفر

٣٤- تاريخه

الأولى ١٩٩٦م / دار الكتب العلمية

بيروت – لبنان

عدد الأجزاء ٢ جزء

ياقوت : الامام شهاب الدين أبى عبد الله بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى ت ٦٢٦ هـ

٣٥- معجم البلدان

دار أحياء التراث العربى / بيروت

ط/ الأولى ١٩٩٧م

اليعقوبى : أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح ت نحو ٢٨٤ هـ

٣٦ - تاريخه

ط دار صادر بيروت ١٩٩٢م

عدد الأجزاء ٢

يوليوس فلهوزن (مستشرق ألمانى)

٣٧- تاريخ الدولة العربية

من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية نقله عن الألمانية وعلق عليه :-

د/ محمد عبد الهادى أبو ريدة

راجع الترجمة :

د/حسين مؤنس

لجنة التأليف والترجمة والنشر ط الثانية ١٩٦٨م